بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

قال الإمام الحافظ المتقن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لبابة ، سمعت عائشة تقول : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم ، وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره ولا رب سواه ، ﴿الذي أسرى بعبده﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ليلاً﴾ أي في جنح الليل ﴿من المسجد الحرام﴾ وهو مسجد مكة ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم ، فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وقوله تعالى : ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي في الزروع والثمار ﴿لنريه﴾ أي محمداً ﴿من آياتنا﴾ أي العظام . كما قال تعالى : ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه ﷺ ، وقوله تعالى : ﴿انه هو السميع البصير﴾ أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذبهم ، البصير بهم فيعطي كلاً منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة .

ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء : رواية انس بن مالك رضي الله عنه

قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثني عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان — هو ابن بلال — عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة : أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه — وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم — فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديده — يعني عروق حلقه — ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ فقال : جبريل ، قالوا : ومن معك ، قال : معي محمد ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : فمرحباً به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلم عليه ورد عليه آدم فقال : مرحباً

وأهلاً بابني نعم الابن أنت ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال : «ماهذان النهران ياجبريل ؟» قال : هذان النيل والفرات عنصرهما .

ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر فقال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي خبأه لك ربك ، ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الملائكة الأولى : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحباً به وأهلاً ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى ، فقال موسى : رب لم أظن أن ترفع علي أحداً ، ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه فيما يوحي خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ، ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : «عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة» قال : إن أمتك لاتستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم .

فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه : «يا رب خفف عنا فإن أمتي لاتستطيع هذا» فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه ، فلم يزل يرده موسى إلى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال : ياعمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه ، فأمتك اضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل ، فرفعه عند الخامسة فقال «يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا» فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد . قال «لبيك وسعديك» قال : إنه لايبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب ، فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال : كيف فعلت ؟ فقال «خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها» قال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً . قال رسول الله ﷺ : «يا موسى قد والله استحييت من ربي عز وجل مما أختلف إليه» قال : فاهبط باسم الله .

قال : واستيقظ وهو في المسجد الحرام . هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ، ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال . ورواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر ، وهو كما قال مسلم فإن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الأحاديث الآخر ، ومنهم من يجعل هذا مناما توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها ، على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل يعني قوله ، ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح ، وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق ، فإن أبا ذر قال : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال «نور أنى أراه» وفي رواية : «رأيت نوراً» اخرجه مسلم ، وقوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ إنما هو جبريل عليه السلام ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود ، وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته فسار بي حتى اتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة . قال : ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد ارسل إليه . ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد ارسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟ قال :

جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ، ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ؛ فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم يقول الله تعالى : ﴿ورفعناه مكاناً عليا﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل ؛ فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : قد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فاذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فاذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها .

قال : فأوحى الله إلي ما أوحى ، وقد فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، قال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فان امتك لاتطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال فرجعت الى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً ، فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فعلت ؟ فقلت قد حطّ عني خمساً فقال إن أمتك لاتطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمساً خمساً حتى قال : يامحمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت عشراً ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب ، فان عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته ، فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : «لقد رجعت الى ربي حتى استحييت» ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق ، وهو أصح من سياق شريك .

قال البيهقي : وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس ، وهذا الذي قاله هو الحق الذي لاشك فيه ولا مرية ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به مسرجاً ملجماً ليركبه ، فاستصعب عليه فقال له جبريل : ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه ؟ قال : فارفض عرقا ، ورواه الترمذي عن إسحاق بن منصور عن عبد الرزاق ، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال أحمد ايضاً : حدثنا ابو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «لما عرج بي إلى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» واخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو به ، ومن وجه آخر ليس فيه أنس ، فالله اعلم ، وقال أيضاً : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره» .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني ،كلاهما عن أنس ، قال النسائي : هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا وهب ابن بقية ، حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال : أخبرني بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ليلة أسري به ، مر على موسى وهو يصلي في قبره ، وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، حدثنا معتمر عن أبيه قال : سمعت أنساً أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره ، قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس . قال أبو بكر : صفها لي ، فقال رسول الله ﷺ : «هي كذه وذه» فقال : أشهد أنك رسول الله . وكان أبو بكر رضي الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ ابو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها كوكري الطير ،فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ، وأنا أقلب طرفي ولو شئت ان أمس السماء لمسست ، فالتفت الى جبريل كأنه حلس لاط

فعرفت فضل علمه بالله علي ، وفتح لي باباً من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى إلي ما شاء الله أن يوحي» ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث إلا أنس ولانعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلا مشهوراً من أهل البصرة .

ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين ابن أبي الحسين ، عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني ، أو قال دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ، ثم قال هكذا رواه الحارث بن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد ابن عمير بن عطارد ، أن النبي ﷺ كان في ملإ من أصحابه فجاءه جبريل فنكت في ظهره ، فذهب به الى الشجرة وفيها مثل وكري الطير ، فقعد في أحدهما وقعد جبريل في الآخر فنشأت بنا حتى بلغت الأفق ، فلو بسطت يدي الى السماء لنلتها فدلي بسبب وهبط إليّ النور فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه حلس ، فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحي إلي نبياً ملكاً أو نبياً عبداً وإلى الجنة ما أنت ، فأومأ إليّ جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لابل نبياً عبداً ، قلت وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الإسراء ، فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود الى السماء فهي كائنة غير مانحن فيه ، والله أعلم وقال البزار ايضاً : حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بحر ، حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل ، وهذا غريب .

وقال ابو جعفر بن جرير : حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن ابي وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بالبراق فكأنها حركت ذنبها ، فقال لها جبريل مه يابراق فوالله ما ركبك مثله ، وسار رسول الله ﷺ فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال : «ما هذه ياجبريل ؟» قال : سر يا محمد ، قال فسار ما شاء الله أن يسير فاذا شيء يدعوه متنحياً عن الطريق فقال هلم يا محمد ، فقال له جبريل : سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير ، قال فلقيه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك [يا أول] ، السلام عليك [يا آخر] ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل اردد السلام يا محمد فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك ، حتى انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن فتناول رسول الله ﷺ اللبن ، فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز . وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل اليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب . وفي بعض الفاظه نكارة وغرابة .

(طريق اخرى) ـ عن انس بن مالك ، وفيها غرابة ونكارة جداً وهي في سنن النسائي المجتبى ولم أرها في الكبير قال : حدثنا عمرو بن هشام ، حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثنا يزيد ابن أبي مالك حدثنا أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها ، فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصلّ فصليت فقال أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ، ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ؛ ثم قال انزل فصل فصليت ، فقال أتدري أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا آدم عليه السلام ، ثم صعد بي الى السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاذا فيها هارون عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فاذا فيها إدريس عليه السلام .

ثم صعد بي إلى السماء السادسة فاذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاذا فيها إبراهيم عليه السلام ، ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضبابة فخررت ساجداً فقيل لي إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام ، فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة ، قال فانك لاتستطيع ان تقوم بها لا أنت ولا أمتك ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فرجعت الى ربي فخفف عني عشراً ، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشراً ، ثم ردت الى خمس صلوات ، قال فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فانه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما ، فرجعت الى ربي عز وجل فسألته التخفيف ، فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمس

صلوات ، فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك ، قال فعرفت أنها من الله عز وجل صريّ فرجعت الى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت أنها من الله عز وجل صريّ - يقول أي حتم - فلم أرجع» .

[طريق اخرى] - وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، **حمله جبريل عليها ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها** ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد ﷺ أتى إلى الحجر الذي ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ، ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال «نعم» فقال فانطلق الى أولئك النسوة ، فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال «فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت من أنتن ؟ فقلن : نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا . وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل : يا محمد أتدري من صلى خلفك - قال - قلت لا - قال : صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل .

قال : ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء ، فلما انتهينا الى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك - قال - فلما استوى على ظهرها اذا فيها آدم ، فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك آدم - قال - قلت بلى ، فأتيته فسلمت عليه فرد علي وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح - قال - ثم عرج بي إلى السماء الثانية ، فاستفتح فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ، قال نعم ، ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك فاذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام ، - قال - ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح ، قالوا من أنت ؟ قال جبريل ؛ قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك ، فاذا فيها يوسف عليه السلام ؛ ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا له مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام - قال - فعرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم - قال - ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها هارون عليه السلام .

ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت ، قال جبريل ، قالوا ومن معك ، قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم - قال - ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبمن معك ، وإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل فقالوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم ؟ قلت بلى ، فأتيته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح ، ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعليه طير أخضر أنعم طير رأيت ، فقلت يا جبريل إن هذا الطير لناعم قال يا محمد آكله أنعم منه ، ثم قال يا محمد أتدري أي نهر هذا - قال - قلت لا ، قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه ، فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضاً من اللبن - قال - فأخذت من آنيته آنية من الذهب ، فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك .

ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل فقال الله لي : يا محمد إني يوم خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك - قال - ثم انجلت عني السحابة فأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً ، فأتيت على إبراهيم فلم يقل شيئاً ، ثم أتيت على موسى فقال ما صنعت يا محمد ؟ فقلت فرض ربي علي وعلى أمتي خمسين صلاة . قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك ، فرجعت سريعا حتى انتهيت الى الشجرة فغشيتني السحابة ورفضني جبريل وخررت ساجداً وقلت ربي إنك فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة ولن أستطيعها انا ولا أمتي فخفف عنا ، قال وضعت عنكم عشراً - قال - ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل - قال - فانصرفت سريعاً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، ثم أتيت على موسى فقال لي ما صنعت يا محمد ؟ فقلت وضع عني ربي عشراً قال فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله ان يخفف عنكم . فذكر الحديث كذلك الى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره

موسى أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت : «إني استحييت منه تعالى» .

قال ثم انحدر فقال رسول الله ﷺ لجبريل : «ما لي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك لي» قال : يا محمد ذاك مالك ، خازن جهنم ، لم يضحك منذ خلق ولو ضحك الى أحد لضحك إليك ، قال ثم ركب منصرفاً فبينا هو في بعض الطريق مر بعير لقريش تحمل طعاماً ، منها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك في صاحبك ؟ يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته ، فقال أبو بكر رضي الله عنه إن كان قاله فقد صدق وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا لنصدقه على خبر السماء فقال المشركون لرسول الله ﷺ ما علامة ما تقول قال مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله ﷺ ومن ذلك سمي أبو بكر الصديق وسألوه وقالوا هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟ قال نعم قالوا فصفهم لنا قال : «نعم أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال ازد عمان ، وأما عيسى فرجل ربعة سبط تعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان» هذا سياق فيه غرائب عجيبة .

رواية انس بن مالك عن مالك بن صعصعة

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ان مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : «بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال قتادة في الحجر ـ مضطجعاً إذ أتاني آت ، فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة ـ قال ـ فأتاني فقدّ ـ سمعت قتادة يقول فشق ـ ما بين هذه إلى هذه» وقال قتادة فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعني ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته ، وقد سمعته يقول من قصته إلى شعرته قال : «فاستخرج قلبي ـ قال ـ فأتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » قال فقال الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال : «فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى بي إلى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل من هذا قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم فقيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ـ ففتح لنا فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام ، قال هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا فقال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ففتح لنا ، فلما خلصت فإذا عيسى ويحيى وهما ابنا الخالة ، قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما ـ قال فسلمت فردا السلام ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ـ ففتح لنا ، فلما خلصت إذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف ـ قال ـ فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ـ ففتح لنا فلما خلصت فإذا إدريس عليه السلام ، قال هذا إدريس ، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، قال ـ ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا فلما خلصت فإذا هارون عليه السلام قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ـ قال ـ ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل من معك ؟ قال محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا فلما خلصت فإذا أنا بموسى عليه السلام قال هذا موسى عليه السلام فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ـ قال ـ فلما تجاوزته بكى قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً ابعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . قال ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل أو قد بعث إليه ؟ قال نعم قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا إبراهيم عليه السلام فقال هذا إبراهيم فسلم عليه ، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ـ قال ـ ثم رفعت الى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، فقال هذه سدرة المنتهى ، قال وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا يا

جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ـ قال ـ ثم رفع الى البيت المعمور» .

قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً ثم لايعودون فيه ، ثم رجع إلى حديث أنس قال «ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل . قال ـ فأخذت اللبن قال هذه الفطرة أنت عليها وأمتك ـ قال ـ ثم فرضت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم ـ قال ـ فنزلت حتى أتيت موسى ، فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قال فقلت خمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة وإني خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فوضع عني عشراً ـ قال ـ فرجعت إلى موسى فقال بمَ أمرت ؟ قلت بأربعين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت أمرت بثلاثين صلاة ، قال إن أمتك لاتستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بعشرين صلاة كل يوم ، فقال إن أمتك لاتستطيع عشرين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت أمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال : إن أمتك لاتستطيع لعشر صلوات كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم ، فقال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ قلت قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم ، فنفذت فنادى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي» وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه .

رواية أنس عن أبي ذر

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً ، فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء قال جبريل لخازن السماء : افتح قال : من هذا ؟ قال : جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم معي محمد ﷺ ، فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى ، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال له الأول ، ففتح» قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل والنبي ﷺ بإدريس ، قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : إدريس ، ثم مررت بموسى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ، ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت : من هذا ؟قال : هذا إبراهيم . قال الزهري : فأخبرني ابن حزم ان ابن عباس هو وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال النبي ﷺ «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» .

قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام ، فقال : ما فرض الله على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال موسى : فارجع إلى ربك فإن أمتك لاتطيق ذلك ، فرجعت فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى ، قلت : وضع شطرها ؛ فقال : ارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فرجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه فقال : ارجع الى ربك فإن أمتك لاتطيق ذلك ، فراجعته فقال : هي خمس وهي خمسون لايبدل القول لدي ، فرجعت إلى موسى فقال : ارجع إلى ربك ، قلت : قد استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لاأدري ماهي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جبال اللؤلؤ ،

وإذا ترابها المسك» وهذا لفظ البخاري في كتاب الصلاة ، ورواه في ذكر بني إسرائيل وفي الحج وفي أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس به ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن حرملة عن ابن وهب عن يونس به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته ، قال : وما كنت تسأله ؟ قال : كنت اسأله : هل رأى ربه ؟ فقال : إني قد سألته ، فقال : قد رأيته نوراً إنّ أراه» هكذا قد وقع في رواية الإمام أحمد ، وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال «نور أنّى أراه» . وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام : حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته ، فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت اسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت فقال رأيت نوراً .

رواية أنس عن أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه

قال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا محمد بن إسحاق بن محمد بن المسيني ، حدثنا أنس بن عياض ، حدثنا يونس ابن يزيد قال : قال ابن شهاب : قال أنس بن مالك : كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله ﷺ قال «فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جاء السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه تبسم ، وإذا نظر قبل يساره بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل يمينه هم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله هم أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل يساره بكى ـ قال ـ ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ، ففتح له» قال انس : فذكر انه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وإبراهيم وعيسى ، ولم يثبت لي كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال انس : فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ بإدريس قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قال «قلت من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إدريس ـ قال ثم مررت بموسى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ؛ فقلت من هذا ؟ قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ؛ قلت من هذا ؟ قال : هذا عيسى ابن مريم ـ قال ـ ثم مررت بإبراهيم ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والإبن الصالح ؛ قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم» .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال رسول الله ﷺ «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام» قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ «فرض الله على أمتي خمسين صلاة ، قال : فرجعت بذلك حتى أمر على موسى ، فقال موسى : ماذا فرض ربك على أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة ، فقال لي موسى : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربي فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى فأخبرته ؛ فقال : ارجع إلى ربك ، فإن أمتك لاتطيق ذلك ، فراجعت فقال : هي خمس وهي خمسون ، لايبدل القول لدي ، قال : فرجعت إلى موسى ، فقال ؛ راجع ربك ؛ فقلت : قد استحييت من ربي ، قال : ثم انطلق بي حتى أتى سدرة المنتهى ، قال : فغشيها ألوان ما أدري ماهي ، قال : ثم دخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك» هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس ، عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء ، فالله أعلم .

رواية بريدة بن الخصيب الأسلمي

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن إبراهيم واللفظ له ، قالا : حدثنا أبو نميلة ، حدثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ «لما كان ليلة أسري بي ـ قال ـ فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس ـ قال ـ فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق» ثم قال البزار : لانعلم رواه عن الزبير بن جنادة الا أبو نميلة ، ولانعلم هذا الحديث الا عن بريدة ، وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به ، وقال غريب .

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به . وقال البيهقي : حدثنا أحمد بن الحسن القاضي ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدوري : حدثنا يعقوب ابن إبراهيم ، حدثنا أبي عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : أن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم وموسى وعيسى ، وأنه أتي بقدحين : قدح من لبن وقدح من خمر ، فنظر إليهما ، ثم أخذ قدح اللبن ، فقال جبريل : أصبت هديت للفطرة ، لو أخذت الخمر لغوت أمتك ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة فأخبر أنه أسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه ، وقال ابن شهاب : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : فتجهز ، أو كلمة نحوها ، ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ؟ فقال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال : نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء ؛ قال أبو سلمة : فبها سمي أبو بكر الصديق . قال أبو سلمة : فسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» .

رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا سليمان عن شيبان ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال : أتيت على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وهو يحدث عن ليلة أسري بمحمد ﷺ ، وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فلم يدخلاه ، قال : قلت : بل دخله رسول الله ﷺ ليلتئذ وصلى فيه ، قال : ما اسمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ، ولا أدري ما اسمك ، قال : قلت أنا زر بن حبيش ، قال : فما علمك بأن رسول الله ﷺ صلى فيه ليلتئذ ؟ قال : قلت القرآن يخبرني بذلك ؛ قال : فمن تكلم بالقرآن فلح اقرأ ، قال : فقلت ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ قال : يا أصلع ، هل تجد صلى فيه ؟ قلت : لا . قال : والله ما صلى فيه رسول الله ليلتئذ ، ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق ، والله ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدئهما ، قال : ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال : ويحدثونه انه ربطه لا يفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة ، قلت : يا عبد الله ، أي دابة البراق ؟ قال : دابة أبيض طويل ، هكذا خطوه مد البصر . ورواه ابو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة ، عن عاصم به . ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبي النجود به . وقال الترمذي : حسن ، وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه وما أثبته غيره عن رسول الله ﷺ من ربط الدابة بالحلقة ، ومن الصلاة ببيت المقدس مما سبق وما سيأتي مقدم على قوله ، والله أعلم بالصواب .

رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة :حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو بكر يحيى ابن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا أبو محمد راشد الحماني عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال له أصحابه : يا رسول الله ، أخبرنا عن ليلة أسري بك فيها . قال : قال الله عز وجل ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ الآية ، قال : فأخبرهم ، قال «فبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني ، فاستيقظت فلم أر شيئاً ، فإذا أنا بكهيئة خيال فاتبعته بصري حتى خرجت من المسجد الحرام ، فإذا أنا بدابة أدنى شبهاً بدوابكم هذه ، بغالكم هذه ، غير أنه مضطرب الأذنين يقال له البراق ، وكانت الأنبياء تركبه قبلي ، يقع حافره عند مد بصره ، فركبته ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع من يميني : يامحمد انظرني اسألك ، يامحمد انظرني اسألك ، يا محمد انظرني اسألك ، فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يساري : يا محمد انظرني اسألك ، فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل

زينة خلقها الله ، فقالت : يا محمد ، انظرني اسألك ، فلم التفت إليها ولم أقم عليها حتى أتيت بيت المقدس ، فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها بها .

ثم أتاني جبريل عليه السلام بإناءين : أحدهما خمر والآخر لبن ، فشربت اللبن وأبيت الخمر ، فقال جبريل : أصبت الفطرة ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك ، فقلت : الله أكبر الله أكبر ، فقال جبريل : ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال : فقمت بينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد أنظرني اسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، قال ذاك داعي اليهود ، أما إنك لو أجبته أو وقفت عليه لتهودت أمتك ـ قال ـ فبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال : يا محمد أنظرني اسألك فلم التفت ولم أقم عليه ، قال : ذاك داعي النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك ـ قال ـ فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول : يا محمد أنظرني اسألك فلم أجبها ولم أقم عليها ، قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أجبتها أو قمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة .

قال : ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منا ركعتين ، ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح بني آدم فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء ، فإنما يشق بصره طامحاً إلى السماء عجبه بالمعراج ، قال : فصعدت أنا وجبريل ، فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك ، قال : قال الله عز وجل ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ قال : فاستفتح جبريل باب السماء ، قيل : من هذا قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ، فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين ، فيقول : روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار ، فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة احملوها في سجين ، فمضيت هنيهة فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها ، قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال ، قال : ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل ، قال : فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر ، ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله عز وجل فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال: هؤلاء من أمتك ﴿**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً**﴾ قال : ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بنساء تعلقن بثديهن ، فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل ، قلت : ياجبريل من هؤلاء النساء ؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك . قال : ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خرّ فيقول : اللهم لاتقم الساعة . قال : وهم على سابلة آل فرعون ، قال : فتجيء السابلة فتطؤهم ، قال فسمعتهم يضجون إلى الله ـ قال ـ قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ قال : ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه ، فيقال له : كل كما كنت تأكل من لحم أخيك ، قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون .

قال : ثم صعدنا إلى السماء الثانية ، فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه فرد عليّ .

ثم صعدنا إلى السماء الثالثة ، واستفتح فاذا أنا بيحيى وعيسى عليهما السلام ، ومعهما نفر من قومهما ، فسلمت عليهما وسلما عليّ ؛ ثم صعدنا إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً علياً ، فسلمت عليه فسلم عليّ .

قال : ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من طولها ، قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا المحبب في قومه ، هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ .

ثم صعدت إلى السماء السادسة ، فاذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم ، كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص ، فاذا هو يقول : يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا ، بل هذا أكرم على الله مني . قال : قلت ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ .

ثم صعدت إلى السماء السابعة ، فاذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ، ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن رجل ، قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه فسلم عليّ . وإذا أنا بأمتي شطرين : شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس ، وشطر عليهم ثياب سود قال ـ فدخلت البيت

المعمور ، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض.وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب السود وهم على خير ، فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ومن معي .

قال والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الأمة ، واذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران [أحدهما] الكوثر [والآخر] يقال له نهر الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

قال إني رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية ، فقلت : لمن أنت يا جارية ؟ قالت : لزيد بن حارثة ، وإذا بانهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، واذا رمانها كالدلاء عظما ، وإذا أنا بطيرها كأنها بختكم هذه ، فقال عندها ﷺ إن الله تعالى قد أعد لعباده الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ـ قال ـ ثم عرضت علي النار ، فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني .

ثم إني رفعت الى سدرة المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى . قال وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة ـ قال ـ وفرضت علي خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر ، فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة ، فاذا عملتها كتبت لك عشراً ، واذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء ، فان عملتها كتبت عليك سيئة واحدة .

ثم رجعت إلى موسى فقال بما أمرك ربك ؟ فقلت : بخمسين صلاة . قال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فان امتك لاتطيق ذلك ، ومتى لاتطيقه تكفر ، فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب خفف عن أمتي ، فانها أضعف الأمم ، فوضع عني عشراً وجعلها أربعين ، فما زلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته ، حتى رجعت اليه ، فقال لي : بم أمرت ؟ فقلت أمرت بعشر صلوات . قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم ، فوضع عني خمساً وجعلها خمساً ، فناداني عندها تممت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها .

ثم رجعت الى موسى فقال : بمَ أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات . قال : ارجع الى ربك فانه لايؤوده شيء ، فاسأله التخفيف لأمتك ، فقلت : رجعت إلى ربي حتى استحييت . ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب : إني أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ، ورأيت كذا وكذا ، فقال ابو جهل يعني ابن هشام : ألا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً ، فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة ، قال : فأخبرتهم بعير لقريش لما كنت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا ، وأنها نفرت ، فلما رجعت وجدتها عند العقبة ، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ، ومتاعه كذا وكذا ، فقال أبو جهل : يخبرنا بأشياء ، فقال رجل منهم : أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه وهيئته ، وكيف قربه من الجبل ، فان يك محمد صادقاً فسأخبركم وإن يك كاذباً فسأخبركم ، فجاء ذلك المشرك فقال : يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني : كيف بناؤه ، وكيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل ؟ قال فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده ، فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته ؛ قال : بناؤه كذا وكذا ، وهيئته كذا وكذا ، وقربه من الجبل كذا وكذا ؛ فقال الآخر : صدقت ، فرجع اليهم فقال : صدق محمد فيما قال او نحواً من هذا الكلام .

وكذا رواه الإمام ابو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور عن معمر عن ابي هارون العبدي ، وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر ، عن ابي هارون العبدي به . ورواه أيضاً من حديث ابن إسحاق حدثني روح بن القاسم عن ابي هارون به نحو سياقه المتقدم ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة ، عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ، فذكره بسياق طويل حسن أنيق ، أجود مما ساقه غيره عل غرابته وما فيه من النكارة . ثم ذكره البيهقي أيضاً من رواية روح بن قيس الحدائي وهشيم ومعمر عن أبي هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين وهو مضعف عند الأئمة ، وإنما سقنا حديثه ههنا لما فيه من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقي : أخبرنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن ، أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار ، حدثنا ابو حامد بن بلال ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا يزيد بن ابي حكيم قال : رأيت في النوم رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله ، رجل من أمتك يقال له سفيان الثوري لا بأس به . فقال رسول الله «لا بأس به» حدثنا عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عنك يارسول الله ليلة أسري بك ، قلت رأيت في السماء ، فحدثته بالحديث فقال لي «نعم» فقلت

له : يا رسول الله إن ناساً من أمتك يحدثون عنك في السرى بعجائب ؟ قال لي «ذلك حديث القصاص» .

رواية شداد بن اوس

قال الإمام أبو اسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن الضحاك الزبيدي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سلام الأشعري عن محمد بن الوليد بن عامرالزبيدي حدثنا الوليد بن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسري بك ؟ قال «صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتماً فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض أو قال بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب عليّ فرازها بأذنها ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلني فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بيثرب صليت بطيبة .

فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضاً قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بمدين عند شجرةموسى ، ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى المسيح ابن مريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل أرسل إلي بهما جميعا فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرفت به جبيني وبين يدي شيخ متكىء على مثواه له فقال أخذ صاحبك الفطرة إنه ليهدى .

ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي قلت يا رسول الله كيف وجدتها ؟ قال وجدتها مثل الحمة السخنة ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمستك في مظانك ، فقال علمت أني أتيت من بيت المقدس الليلة ، فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي ، قال ففتح لي صراط كأني إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته به ، فقال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله ، وقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ، قال فقال إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه فلان وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مس أسود وغرارتان سوداوان .

فلما كان ذلك اليوم قد أشرف الناس ينظرون حين كان قريبا من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ . هكذا رواه البيهقي من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي به ثم قال بعد تمامه هذا إسناد صحيح ، وروى ذلك مفرقاً من أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله ما حضرنا ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث ، وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي به ، ولا شك أن هذا الحديث أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنهاما هو منكر كالصلاة في بيت لحم . وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم .

رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال : حدثنا ابن عباس قال : ليلة أسري برسول الله ﷺ ، دخل الجنة فسمع في جانبها وخشاً فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن ، فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس «قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا» قال : فلقيه موسى عليه السلام ، فرحب به وقال : مرحباً بالنبي الأمي ، قال : وهو رجل آدم طويل ، سبط شعره مع أذنيه أو فوقهما ، فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسى ، قال : فمضى فلقيه شيخ جليل متهيب فرحب به وسلم عليه ، وكلهم يسلم عليه ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ـ قال ـ ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ؛ ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا عاقر الناقة ، ـ قال ـ فلما أتى رسول الله ﷺ المسجد الأقصى ، قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون معه ، فلما انصرف جيء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن

الشمال ، في أحدهما لبن وفي الآخر عسل ، فأخذ اللبن فشرب منه ، فقال الذي كان معه القدح : أصبت الفطرة ، إسناد صحيح ، ولم يخرجوه .

[طريق أخرى] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ثابت أبو زيد ، حدثنا هلال ، حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم ، فقال ناس : نحن لانصدق محمداً بما يقول ، فارتدوا كفاراً فضرب الله رقابهم مع أبي جهل ، وقال أبو جهل : يخوفنا محمد بشجرة الزقوم ، هاتوا تمراً وزبداً فتزقموا ، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، وسئل النبي ﷺ عن الدجال فقال «رأيته [فيها أقمر هجان][1] ، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري ، كأن شعر رأسه أغصان شجرة ؛ ورأيت عيسى عليه السلام أبيض ، جعد الرأس حديد البصر ، ومبطن الخلق ؛ ورأيت موسى عليه السلام أسحم آدم ، كثير الشعر ، شديد الخلق ؛ ونظرت إلى إبراهيم عليه السلام فلم أنظر إلى [ارب][2] منه إلا نظرت إليه مني حتى كأنه صاحبكم ، قال جبريل : سلم على أبيك ، فسلمت عليه» ورواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال ، وهو ابن حبان به ، وهو إسناد صحيح .

[طريق أخرى] ـ قال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر الشافعي ، أنبأنا إسحاق بن الحسن ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا شيبان عن قتادة عن أبي العالية قال : حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً طوالا جعداً ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس» وأرى مالكاً خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله إياه ، قال ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ فكان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ قال : جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل ، رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد ، عن شيبان ، وأخرجاه من حديث شعبة عن قتادة مختصراً .

[طريق أخرى] ـ وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله ، أخبرنا أحمد بن عبيد الستار ، ثنا دبيس المعدل ، ثنا عفان قال : ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة ، فقلت : ما هذه الرائحة ؟ قال : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط المشط من يدها فقالت : باسم الله ، فقالت بنت فرعون أبي ، قالت ربي وربك ورب أبيك ، قالت أولك رب غير أبي ؟ قالت : نعم ربي وربك ورب أبيك الله . . قال : فدعاها ، فقال : ألك رب غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله عز وجل . قال فأمر ببقرة من نحاس ، فأحميت ثم أمر بها أن تلقى فيها ، قالت : إن لي إليك حاجة ، قال : ماهي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع ، قال : ذاك لك لما لك علينا من الحق ، قال : فأمر بهم فألقوا واحدا واحدا حتى بلغ رضيعاً فيهم ، فقال : يا أمه قعي ولا تقاعسي ، فأنك على الحق . قال : وتكلم أربعة في المهد وهم صغار : هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليه السلام . إسناد لا بأس به ، ولم يخرجوه .

[طريق أخرى] ـ قال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المعين قالا : حدثنا عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «لما كان ليلة أسري بي ، فأصبحت بمكة ففظعت وعرفت أن الناس مكذبي» فقعد معتزلا حزيناً ، فمر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء : هل كان من شيء فقال له رسول الله ﷺ «نعم» قال : وما هو ؟ قال «إني أسري بي الليلة» ، قال : إلى أين ؟ قال «الى بيت المقدس» قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال «نعم» ، قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه ، فقال : أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني ؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم» فقال : يا معشر بني كعب بن لؤي ، قال : فانفضت اليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما ، قال : حدث قومك بما حدثتني ، فقال رسول الله ﷺ «إني أسري بي الليلة» فقالوا : إلى أين ؟ قال «إلى بيت المقدس» . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال «نعم» . قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب ، قالوا : وتستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ؛ فقال رسول الله ﷺ «فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فنعته وأنا أنظر إليه قال وكان مع هذا نعت لم أحفظه قال فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب فيه» وأخرجه النسائي من حديث عوف ابن أبي جميلة وهو الأعرابي به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات .

[رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا السري بن خزيمة ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما أسري برسول الله ﷺ فانتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة ، وإليها ينتهي ما يصعد به حتى يقبض منها ، واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها حتى يقبض ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قال : غشيها فراش من ذهب ، وأعطي رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لايشرك بالله شيئاً المقحمات يعني الكبائر .

ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير وزهير بن حرب ، كلاهما عن عبد الله بن نمير به ، ثم قال البيهقي وهذا الذي ذكره عبد الله بن مسعود طرف من حديث المعراج ؛ وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ ، ثم عن أبي ذرعن النبي ﷺ ، ثم رواه مرة مرسلا من دون ذكرهما ، ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم ، قلت : وقد روي عن ابن مسعود بأبسط من هذا ، وفيه غرابة ، وذلك فيما رواه الحسن ابن عرفة في جزئه المشهور : حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي ، حدثنا أبو ظبيان الجنبي قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة ابن عبد الله يعني ابن مسعود ، ومحمد بن سعد ابن أبي وقاص وهما جالسان ، فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة : حدثنا عن أبيك ليلة أسري بمحمد ﷺ ؛ فقال أبو عبيدة : لا بل حدثنا أنت عن أبيك ؛ فقال محمد : لو سألتني قبل أن اسألك لفعلت ، قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل ، قال : قال رسول الله ﷺ «أتاني جبريل عليه السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملني عليه ثم انطلق يهوي بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه ، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه ، حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة ،فيرفع صوته يقول أكرمته وفضلته ، قال : فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام ، فقال : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا أحمد ؛ قال مرحباً بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل ؟ قال هذا موسى بن عمران . قال قلت ومن يعاتب ؟ قال يعاتب ربه فيك ، قلت : ويرفع صوته إلى ربه ؟ قال : إن الله قد عرف له حدته . قال : ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرح ، تحتها شيخ وعياله ، قال : فقال لي جبريل : اعمد إلى أبيك إبراهيم ، فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام ؛ فقال إبراهيم : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا ابنك أحمد ، قال : فقال مرحباً بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، يا بني إنك لاق ربك الليلة ، وإن أمتك آخر الأمم واضعفها ، فان استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل .

قال : ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى ، فنزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ، ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ، قال : ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن ، فأخذت اللبن فشربت ، فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال : أصبت الفطرة ورب محمد ، قال : ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ، ثم انصرفنا فأقبلنا» إسناد غريب ، ولم يخرجوه ، فيه من الغرائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ، ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه ، والمشهور في الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمه بهم أولاً ليسلم عليهم سلام معرفة ، وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه . وصلى بهم فيه ، ثم أنه ركب البراق وكر راجعاً إلى مكة ، والله أعلم .

[طريق أخرى] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن جنادة ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فتذاكروا أمر الساعة ، قال : فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى عيسى ، فقال : ما أوحيتها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج ، قال : ومعي قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله ، قال : فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون على ماء إلا شربوه ، قال : ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوي الأرض من نتن ريحهم ، أي تنتن ، قال : فينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ، ففيما عهد إلي ربي أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلاً أو نهاراً .

وأخرجه ابن ماجة عن بندار عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرظ أخي عبد الله ابن قرظ الثمالي ، قال سعيد بن منصور : حدثنا مسكين ميمون مؤذن مسجد الرملة ، حدثني عروة بن رويم عن عبد الرحمن ابن قرظ أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى من بين زمزم والمقام ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فطارا به حتى بلغ السموات العلى ، فلما رجع قال : سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير ، سبحت السموات العلى من ذي المهابة مشفقات من ذي العلو بما على سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى . ونذكر ههنا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة ﴿تسبح له السموات السبع﴾ الآية .

رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان ، عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية ، فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة : فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك ؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة عن ردائه ، وكنس الناس ، فلم يعظم الصخرة تعظيماً يصلي وراءها وهي بين يديه كما أشار كعب الأحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم ، ولكن منَّ الله عليه بالإسلام فهدي إلى الحق ، ولهذا لما أشار بذلك ، قال له أمير المؤمنين عمر : ضاهيت اليهودية ولا أهانها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلةاليهود ، ولكن أماط عنها الأذى وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي قال :قال رسول الله ﷺ «لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» .

رواية أبي هريرة وهي مطولة جداً وفيها غرابة

قال الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسير سورة سبحان : حدثنا علي بن سهل ، ثنا حجاج ، ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة أو غيره ، شك أبو جعفر ، في قول الله عز وجل ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ الآية ، قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل : ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر له قلبه وأشرح له صدره ، قال : فشق عن بطنه فغسله ثلاث مرات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم ، فشرح صدره فنزع ما كان فيه من غل ، وملأه علماً وحلماً وإيماناً ويقيناً وإسلاماً ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتاه بفرس فحمله عليه كل خطوة منه منتهى بصره أو أقصى بصره ، قال : فسار وسار معه جبريل عليهما السلام ، قال : فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي ﷺ «يا جبريل ما هذا ؟» قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال «ما هؤلاء يا جبريل ؟» قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الإبل والنعم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال «فما هؤلاء يا جبريل ؟» قال : هؤلاء الذي لايؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئاً ، وما الله بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم زيء في قدر خبيث ، فجعلوا يأكلون من اللحم الزيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب ، فقال«ما هؤلاء يا جبريل ؟» فقال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح ، قال : ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء إلا خرقته ، قال «ما هذا يا جبريل ؟» قال : هذا مثل أقوام أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون﴾ الآية ، قال : ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال «ما هذا يا جبريل ؟» قال هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات للناس لايقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ؛ فقال «ما هذا يا جبريل ؟» فقال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال «ما هذا يا جبريل ؟» فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتاً ، فقال يا جبريل «ما هذه الريح الطيبة الباردة ، وما

هذا المسك ، وما هذا الصوت ؟» قال : هذا صوت الجنة تقول : يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي ، وحريري وسندسي ، وعبقري ولؤلؤي ، ومرجاني وفضتي وذهبي ، واكوابي وصحافي وأباريقي وكؤوسي، عسلي ومائي ولبني وخمري ، فائتني بما وعدتني ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً ، ولم يتخذ من دوني انداداً ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل عليّ كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : قد رضيت .

قال : ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة ، فقال «ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت ؟» فقال : هذا صوت جهنم تقول : يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي ، واغلالي ، وسعيري وحميمي ، وضريعي وغساقي وعذابي ، وقد بعد قعري واشتد حري ، فائتني بما وعدتني ، قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لايؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت .

قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا ، يا جبريل من هذا معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قالوا : او قد أرسل إليه فقال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء . قال : ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذي اتخذني خليلاً ، واعطاني ملكاً عظيماً ، وجعلني أمة قانتاً يؤتم بي ، وأنقذني من النار وجعلها علي برداً وسلاماً ، ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليماً ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي . وجعل من أمتي قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون ؛ ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً ، وعلمني الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخر لي الجبال يسبحن والطير ، واعطاني الحكمة وفصل الخطاب .

ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء فضلاً ، وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضلني على كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكاً عظيماً لاينبغي لاحد من بعدي ، وجعل ملكي طيباً ليس فيه حساب .

ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه عز وجل ، فقال : الحمد لله الذي جعلني كلمته ، وجعل مثلي كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وجعلني أبريء الأكمه والأبرص واحيي الموتى بإذن الله ، ورفعني وطهرني ، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

قال : ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه عز وجل ، فقال «كلكم اثنى على ربه ، وإني مثن على ربي ، فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علي الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي أمة وسطاً وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لي صدري ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً» فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد ﷺ .

قال أبو جعفر الرازي : خاتم بالنبوة فاتح بالشفاعة يوم القيامة ، ثم أتي بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها ، فأتى بإناء منها فيه ماء ، فقيل له : اشرب ، فشرب منه يسيراً ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقيل له : اشرب ، فشرب منه حتى روي ؛ ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب ، فقال : لاأريده قد رويت ؛ فقال له جبريل : اما انها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل .

قال : ثم صعد به إلى السماء فاستفتح ، فقيل : من هذا يا جبريل ؟ فقال : محمد ؛ فقالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، ففتح لهما ؛ فدخل فإذا برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء ، كما ينقص من خلق الناس ، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة ، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة ؛ فإذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن ، فقلت : يا جبريل ، من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء ، وما هذان البابان ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة ، إذا نظر إلى من الجنة من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم ، إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكى وحزن .

ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح ، فقيل : من هذا معك ؟ فقال : محمد رسول اللّه ؛ فقالوا : أوقد

أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل ، فإذا هو بشابين ؛ فقال : ياجبريل من هذان الشابان ؟ قال : هذا عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام .

قال : فصعد به إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ؛ قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل ، فإذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن ، كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قال : من هذا يا جبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن ؟ قال : هذا أخوك يوسف عليه السلام .

قال : ثم صعد به إلى السماء الرابعة ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل ؛ فإذا هو برجل ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إدريس عليه السلام رفعه الله مكاناً علياً .

ثم صعد به إلى السماء الخامسة ، فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل ، فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم ، قال : من هذا يا جبريل ، ومن هؤلاء حوله ؟ قال : هذا هارون المحبب ، وهؤلاء بنو إسرائيل .

ثم صعد به إلى السماء السادسة ، فاستفتح ؛ فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل ؛ فإذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل ، فقال : يا جبريل من هذا ؟ قال : موسى ، قال : فما باله يبكي ؟ قال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على الله عز وجل ، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرى ، فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته .

قال : ثم صعد به إلى السماء السابعة ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل ، فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جلوس ، بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم ، جاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ؛ فقال : ياجبريل من هذا الأشمط ، ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، أول من شمط على وجه الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه ، فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في الوانهم شيء ، فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار ، فأولها رحمة الله ، والثاني نعمة الله ، والثالث سقاهم ربهم شراباً طهوراً .

قال : ثم انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها ، والورقة منها تغطي الأمة كلها ، قال : فغشيها نور الخلاق عز وجل ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة ، من حب الرب تبارك وتعالى ، قالوا : فكلمه الله عند ذلك فقال له : سل ، فقال : إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً ، وكلمت موسى تكليماً وأعطيت داود ملكاً عظيماً وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ؛ وأعطيت سليمان ملكاً وسخرت له الجن والإنس والشياطين ، وسخرت له الرياح وأعطيت له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ؛ وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك ، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له الرب عز وجل : وقد اتخذتك خليلاً ـ وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن ـ وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك اول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً ،

وأولهم يقضي له ، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم يعطها نبي قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك ، واعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية اسهم : الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلتك فاتحاً خاتماً ، فقال النبي ﷺ «فضلني ربي بست : أعطاني فواتح الكلام وخواتيمه ؛ وجوامع الحديث ، وأرسلني إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وقذف في قلوب اعدائي الرعب من مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً» ، قال : وفرض عليه خمسين صلاة .

فلما رجع إلى موسى قال : بم أمرت يا محمد ؟ قال : بخمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، فقد لقيت من بني اسرائيل شدة ؛ قال : فرجع النبي ﷺ إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشراً ، ثم رجع إلى موسى فقال له : بكم أمرت ؟ قال بأربعين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك اضعف الأمم ، ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : فرجع النبي ﷺ إلى ربه ، فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشراً ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بثلاثين ، فقال له موسى ؛ ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك اضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ فرجع إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشراً ، فرجع إلى موسى عليه السلام ، فقال : بكم أمرت ؟ قال أمرت بعشرين . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : فرجع إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشراً ، فرجع إلى موسى ؛ فقال بكم أمرت ؟ قال : أمرت بعشر ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : فرجع على حياء إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه خمساً ، فرجع إلى موسى عليه السلام ؛ فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بخمس ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت ، فما أنا براجع اليه ؛ قيل : أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات ، فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة ، فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال : فرضي محمد ﷺ كل الرضا ، قال : وكان موسى عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع إليه .

ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد اللّه عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية او غيره ، شك ابو جعفر عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ فذكره بمعناه ، وقد رواه الحافظ ابو بكر البيهقي عن أبي سعيد الماليني ، عن ابن عدي ، عن محمد بن الحسن السكوني البالسي بالرملة : حدثنا علي بن سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه ؛ وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد اللّه رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني عن جده ، عن إبراهيم بن حمزة الزبيري ، عن حاتم بن إسماعيل ، حدثني عيسى بن ماهان يعني أبا جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ فذكره .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر أبو زرعة ، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسى بن عبد اللّه التميمي عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس البكري ، عن أبي العالية أو غيره ، شك عيسى ، عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال في قوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾ فذكر الحديث بطوله كنحو مما سقناه ﴿قلت﴾ وأبو جعفر الرازي : قال : فيه الحافظ ابو زرعة الرازي : يهم في الحديث كثيراً ، وقد ضعفه غيره ايضاً ، ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيء الحفظ ، ففيما تفرد به نظر . وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام في رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة اخرى غير الإسراء ، واللّه أعلم .

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرازق ، أنبأنا معمر عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ «حين أسري بي ، لقيت موسى عليه السلام ـ فنعته ، فاذا رجل حسبته قال ـ مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ، قال : ولقيت عيسى ـ فنعته النبي ﷺ قال ـ ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس ـ يعني حمام ، قال ـ ولقيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به ، قال : وأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر ، قيل لي : خذ أيهما شئت ، فأخذت اللبن فشربت ، فقيل لي : هديت الفطرة ـ او أصبت الفطرة ـ أما أنك لو أخذت الخمر غوت امتك» وأخرجاه من وجه آخر عن الزهري به نحوه .

وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن الحجين بن المثنى ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد اللّه بن الفضل الهاشمي ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربا ما كربت مثله قط ، فرفعه اللّه إلي أنظر اليه ما

سألوني عن شيء الا أنبأتهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، وإذا موسى قائم يصلي ، وإذا هو رجل جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس شبهاً به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت قال قائل : يا محمد هذا مالك خازن جهنم ، فالتفت إليه فبدأني بالسلام» .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد عن أبي الصلت ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بي لما انتهيت إلى السماء السابعة ، فنظرت فوق فاذا رعد وبرق وصواعق ، قال : وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحياة ترى من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء آكلوا الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فاذا أنا برهج ودخان وأصوات ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب» ورواه الامام أحمد عن حسن وعفان ، كلاهما عن حماد بن سلمة به . ورواه ابن ماجة من حديث حماد به .

[رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم]

قال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله يعني الحاكم ، حدثنا عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاق الهمداني ، حدثنا إبراهيم بن الحسين الهمداني ، حدثنا أبو محمد هو إسماعيل بن موسى الفزاري ، حدثنا عمر بن سعد النضري من بني نضرة ابن معين ، حدثني عبد العزيز وليس ابن أبي سليم ، وسليمان الأعمش وعطاء بن السائب ، بعضهم يزيد في الحديث على بعض ، عن علي بن ابي طالب ، وعبد الله بن عباس وعن محمد بن إسحاق بن يسار عمن حدثه عن ابن عباس ، وعن سليم بن مسلم العقيلي عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن مسعود وجويبر الضحاك بن مزاحم ، قالوا : كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانىء راقداً وقد صلى العشاء الآخرة ، قال أبو عبد الله الحاكم : قال لنا هذا الشيخ ، وذكر الحديث ، فكتبت المتن من نسخة مسموعة منه ، فذكر حديثاً طويلاً يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء منها في قدرة الله إن صحت الرواية . قال البيهقي فيما ذكرنا قبل في حديث ابي هارون العبدي في إثبات الاسراء والمعراج كفاية ، وبالله التوفيق . ﴿قلت﴾ وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وائمة المفسرين رحمة الله عليهم اجمعين .

[رواية عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها]

قال البيهقي : أخبرنا ابو عبد الله الحافظ ، أخبرني مكرم بن احمد القاضي ، حدثني إبراهيم بن الهيثم البكري ، حدثني محمد بن كثير الصنعاني ، حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : لما أسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ، أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر ، فقالوا : هل لك في صاحبك ؟ يزعم انه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، فقال : أوَ قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه انه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال نعم اني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء في غدوة او روحة ، فلذلك سمي أبو بكر الصديق .

[رواية أم هانىء بنت ابي طالب]

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح باذان عن أم هانىء بنت أبي طالب في مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول : ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة ، فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال «يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين» الكلبي متروك بمرة ساقط ؛ لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري عن ضمرة بن ربيعة ، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح ، عن أم هانىء بأبسط من هذا السياق ، فليكتب ههنا ، وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة ، عن أم هانىء قالت : بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ، ففقدته من الليل ، فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش ، فقال رسول الله ﷺ «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذ بيدي فأخرجني ، فاذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار ، فحملني عليها ثم انطلق حتى أتى بي إلى بيت المقدس ، فأراني إبراهيم عليه السلام يشبه خلقه خلقي ويشبه خلقي خلقه ، وأراني موسى آدم طويلاً سبط الشعر ، شبهته برجال أزد شنوءة ، وأراني عيسى ابن مريم ربعة أبيض يضرب إلى الحمرة ، شبهته بعروة بن مسعود

الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى ، شبهته بقطن بن عبد العزى ـ قال ـ وأنا أريد ان أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت» فأخذت بثوبه فقلت : اني أذكرك اللّه إنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقالتك ، فأخاف أن يسطوا بك ، قالت : فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم ، فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم مأخبرني ، فقام جبير بن مطعم فقال يا محمد أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا . فقال رجل من القوم : يا محمد هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال «نعم وقد وجدتهم قد أضلوا بعيراً لهم فهم في طلبه» قال : هل مررت بإبل لبني فلان ؟ قال : نعم «وجدتهم في مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم ناقة حمراء ، وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها» قالوا : فأخبرنا عدتها ، وما فيها من الرعاة ؟ قال «قد كنت عن عدتها مشغولاً» فقام فأوتي بالابل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ، ثم أتى قريشاً فقال لهم «سألتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة فلان وفلان ، وسألتموني عن إبل بني فلان ، فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة وفلان وفلان ، وهي تصبحكم بالغداة على الثنية» قال : فقعدوا على الثنية ينظرون أصدقهم ما قال ، فاستقبلوا الإبل فسألوهم : هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا : نعم ، فسألوا الآخر ؛ هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا : نعم ، قالوا : فهل كانت عندكم قصعة ؟ قال ابو بكر : أنا واللّه وضعتها فما شربها أحد ولا اهرقوه في الأرض ، فصدقه أبو بكر وآمن به ، فسمي يومئذ الصديق .

[فصل] وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها ، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول اللّه ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، او زاد بعضهم فيه او نقص منه ، فان الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب ، وهرب الى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة الى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الاشكالات ، وهذا بعيد جداً ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد ، لأخبر النبي ﷺ به أمته ، ولنقله الناس على التعدد والتكرر .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة . وقال السدي : بستة عشر شهراً ، والحق انه عليه السلام أسري به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق ، فلما إنتهى إلى باب المسجد ، ربط الدابة عند الباب ودخله ، فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها ، فصعد فيه إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السموات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مر بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما ﷺوعليهما وعلى سائر الأنبياء ، حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، أي أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر اللّه تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ، ورأى البيت المعمور ، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار فرض اللّه عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده ، وفي هذا إعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها .

ثم هبط الى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله اليه . والظاهر أنه بعد رجوعه اليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً ، وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولا مطلوباً الى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذي أريد به ، اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك .

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد الى مكة بغلس ، والله سبحانه وتعالى أعلم ؛ وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل او اللبن والخمر ، او اللبن والماء او الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء . ويحتمل أن يكون ههنا وههنا ، لأنه كالضيافة للقادم ، والله أعلم ؛ ثم اختلف الناس : هل كان الإسراء ببدنه

الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى ، شبهته بقطن بن عبد العزى ـ قال ـ وأنا أريد ان أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت» فأخذت بثوبه فقلت : اني أذكرك الله إنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقالتك ، فأخاف أن يسطوا بك ، قالت : فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم ، فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ماأخبرني ، فقام جبير بن مطعم فقال يا محمد أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا . فقال رجل من القوم : يا محمد هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال «نعم وقد وجدتهم قد أضلوا بعيراً لهم فهم في طلبه» قال : هل مررت بإبل لبني فلان ؟ قال : نعم «وجدتهم في مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم ناقة حمراء ، وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها» قالوا : فأخبرنا عدتها ، وما فيها من الرعاة ؟ قال «قد كنت عن عدتها مشغولاً» فقام فأوتي بالابل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ، ثم أتى قريشاً فقال لهم «سألتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة فلان وفلان ، وسألتموني عن إبل بني فلان ، فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة وفلان وفلان ، وهي تصبحكم بالغداة على الثنية» قال : فقعدوا على الثنية ينظرون أصدقهم ما قال ، فاستقبلوا الإبل فسألوهم : هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا : نعم ، فسألوا الآخر ؛ هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا : نعم ، قالوا : فهل كانت عندكم قصعة ؟ قال ابو بكر : أنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا اهرقوه في الأرض ، فصدقه أبو بكر وآمن به ، فسمي يومئذ الصديق .

[فصل] وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها ، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، او زاد بعضهم فيه او نقص منه ، فان الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب ، وهرب الى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة الى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الاشكالات ، وهذا بعيد جداً ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد ، لأخبر النبي ﷺ به أمته ، ولنقله الناس على التعدد والتكرر .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة . وقال السدي : بستة عشر شهراً ، والحق انه عليه السلام أسري به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق ، فلما إنتهى إلى باب المسجد ، ربط الدابة عند الباب ودخله ، فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها ، فصعد فيه إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السموات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مر بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما ﷺوعليهما وعلى سائر الأنبياء ، حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، أي أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ، ورأى البيت المعمور ، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار فرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده ، وفي هذا إعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها .

ثم هبط الى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله اليه . والظاهر أنه بعد رجوعه اليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً ، وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولا مطلوباً الى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذي أريد به ، اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك .

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد الى مكة بغلس ، والله سبحانه وتعالى أعلم ؛ وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل او اللبن والخمر ، او اللبن والماء او الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء . ويحتمل أن يكون ههنا وههنا ، لأنه كالضيافة للقادم ، والله أعلم ؛ ثم اختلف الناس : هل كان الإسراء ببدنه

عليه السلام وروحه ، او بروحه فقط ؟ على قولين ؛ فالأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعد يقظة ، لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظماً ، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقال تعالى ﴿أسرى بعبده ليلا﴾ وقال تعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به ، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، رواه البخاري ، وقال تعالى : ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضاً فانه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح ، لأنها لا تحتاج في حركتها الى مركب تركب عليه ، والله أعلم .

وقال آخرون بل أسري برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده ، قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه . قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن ان هذه الآية نزلت ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس﴾ ولقول الله في الخبر عن ابراهيم ﴿اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ قال : ثم مضى على ذلك ، فعرفت ان الوحي يأتي للأنبياء من الله أيقاظاً ونياماً ، فكان رسول الله ﷺ يقول «تنام عيناي وقلبي يقظان» والله أعلم ، أي ذلك كان قد جاءه وعاين من الله فيه ما عاين على أي حالاته كان نائماً او يقظاناً ، كل ذاك حق وصدق ؛ انتهى كلام ابن اسحاق . وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن ، وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم ، والله أعلم .

[فائدة حسنة جليلة]

روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي : حدثني مالك بن أبي الرجال عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة إلى قيصر ، فذكر وروده عليه وقدومه إليه ، وفي السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ، ثم استدعى من بالشام من التجار فجيء بأبي سفيان صخر بن حرب وأصحابه ، فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه ، وجعل أبو سفيان يجهد ان يحقر أمره ويصغره عنده . قال في هذا السياق عن أبي سفيان : والله مامنعني من ان أقول عليه قولاً أسقطه من عينه إلا أني أكره ان أكذب عنده كذبة يأخذها علي ولا يصدقني في شيء . قال : حتى ذكرت قوله ليلة أسري به ، قال : فقلت ايها الملك الا أخبرك خبراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال : وماهو ؟ قال : قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا ، أرض الحرم ، في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد ايلياء ، ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال ؛ وبطريق إيلياء عند رأس قيصر ، فقال بطريق إيلياء : قد علمت تلك الليلة ، قال : فنظر اليه قيصر وقال : وما علمك بهذا ؟ قال : إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني ، فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني كلهم معالجة ، فغلبنا فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول به جبلاً ، فدعوت اليه النجاجرة ، فنظروا اليه فقالوا : إن هذا لباب سقط عليه النجاف والبنيان ، ولا نستطيع ان نحركه حتى نصبح ، فننظر من اين أتي . قال : فرجعت وتركت البابين مفتوحين . فلما غدوت عليهما ، فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر مربط

دابة ، قال : فقلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلى الليلة في مسجدنا ، وذكر تمام الحديث .

[فائدة] قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه [التنوير في مولد السراج المنير] وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ، ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد ، وابن عباس وشداد بن أوس وأبي ابن كعب وعبد الرحمن بن قرط ؛ وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين ، وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة ، وأبي أيوب أبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء ، وصهيب الرومي وأم هانىء ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين ، منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره على ماوقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة ، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون ، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾** .

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد ﷺ عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً ، فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام ، وبين ذكر التوراة والقرآن ، ولهذا قال بعد ذكر الإسراء **﴿وآتينا موسى الكتاب﴾** يعني التوراة ، **﴿وجعلناه﴾** اي الكتاب **﴿هدى﴾** اي هادياً **﴿لبني إسرائيل أن لا تتخذوا﴾** اي لئلا تتخذوا **﴿من دوني وكيلاً﴾** أي ولياً ولا نصيراً ولا معبوداً دوني ، لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله ان يعبده وحده لاشريك له .

ثم قال **﴿ذرية من حملنا من نوح﴾** تقديره ياذرية من حملنا من نوح ، فيه تهييج وتنبيه على المنة ، اي ياسلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم **﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾** فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمداً ﷺ وقد ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف ان نوحاً عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله ، فلهذا سمي عبداً شكوراً . قال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان عن أبي حصين ، عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال : إنما سمي نوح عبداً شكوراً ، لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله ليرضى عن العبد ان يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها» وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق ابي أسامة به . وقال مالك عن زيد بن أسلم : كان يحمد الله على كل حال . وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ـ بطوله ، وفيه ـ فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح إنك أنت أول الرسل الى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، فاشفع لنا الى ربك» وذكر الحديث بكماله .

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ

وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُوٓءُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

يخبر تعالى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب ، أي تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ؛ ويعلون علواً كبيراً ، أي يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس ، كقوله تعالى : ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ أي تقدمنا إليه ، وأخبرناه بذلك ، وأعلمناه به . وقوله ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ أي أولى الإفسادتين ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد﴾ أي سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي بأس شديد ؛ أي قوة وعدة وسلطنة شديدة ، فجاسوا خلال الديار ، أي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم ، أي بينها ووسطها ، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحداً وكان وعداً مفعولاً .

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟ فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده ، سلط عليهم أولاً ثم أديلوا عليه بعد ذلك . وقتل داود جالوت ، ولهذا قال ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ الآية ، وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنجاريب وجنوده . وعنه أيضاً وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل . وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد ، وأنه كان فقيراً مقعداً ضعيفاً يستعطي الناس ويستطعمهم ، ثم آل به الحال إلى ماآل ، وأنه سار إلى بلاد بيت المقدس فقتل بها خلقاً كثيراً من بني إسرائيل ، وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطولاً ، وهو حديث موضوع لا محالة ، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته ، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .

وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ، لأن منها ما هو موضوع ومن وضع بعض زنادقتهم ، ومنها ماقد يحتمل أن يكون صحيحاً ، ونحن في غنية عنها ، ولله الحمد . وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم . وقد أخبره الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا ، سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم ، وسلك خلال بيوتهم ، وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء . وقد روى ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام ، فخرب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتى دمشق فوجد بها دماً يغلي على كبا ، فسألهم ، ماهذا الدم ؟ فقالوا : أدركنا آباءنا على هذا ، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر ؛ قال : فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم ، فسكن ، وهذا صحيح الى سعيد بن المسيب ، وهذا هو المشهور ، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة ، وأخذ منهم خلقاً كثيراً أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم ، وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ أي فعليها ، كما قال تعالى : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ . وقوله ﴿فإذا جاء وعد الأخرة﴾ أي الكرة الآخرة ، أي إذا أفسدتم الكرة

قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ وقال تعالى : ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ وقال تعالى : ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ وقال ﴿يكوّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ وقال تعالى : ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وقال تعالى : ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ثم إنه تعالى جعل الليل آية ، أي علامة يعرف بها ، وهي الظلام وظهور القمر فيه ، وللنهار علامة وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه ، وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا ، كما قال تعالى : ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق ـ إلى قوله ـ لآيات لقوم يتقون﴾ وقال تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ الآية .

قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير في قوله ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ قال : ظلمة الليل وسدف النهار . وقال ابن جريج عن مجاهد : الشمس آية النهار والقمر آية الليل ، ﴿فمحونا آية الليل﴾ قال : السواد الذي في القمر ، وكذلك خلقه الله تعالى . وقال ابن جريج : قال ابن عباس : كان القمر يضيء كما تضيء الشمس ، والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر . وقد روى ابو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال : ياأمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر ؟ فقال : ويحك أما تقرأ القرآن ؟ فمحونا آية الليل فهذه محوه . وقال قتادة في قوله ﴿فمحونا آية الليل﴾ كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمرالذي فيه ، وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم ؛ وقال ابن أبي نجيح عن ابن عباس ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ قال : ليلاً ونهاراً ، كذلك خلقهما الله عز وجل .

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

يقول تعالى : بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وطائره هو ما طار عنه من عمله ؛ كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه ، ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره*ومن يعمل مثقال ذرة شراً ير ه﴾ وقال تعالى : ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد*ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ وقال ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وقال ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ وقال ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ الآية ، والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «لطائر كل إنسان في عنقه» قال ابن لهيعة : يعني الطيرة ، وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب جداً ، والله أعلم .

وقوله ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ أي نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيداً أو بشماله إن كان شقياً ، منشوراً أي مفتوحاً يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر*بل الإنسان على نفسه بصيرة*ولو ألقى معاذيره﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي إنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت ، لأنك ذكرت جميع ما كان منك ، ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه ، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي . وقوله ﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾ إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له في الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه ، كما قال الشاعر .

اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمام

قال قتادة عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قال «لا عدوى ولا طيرة ، وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه» كذا رواه ابن جرير ؛ وقد رواه الإمام عبد بن حميد في مسنده متصلاً ، فقال : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي

الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «طير كل عبد في عنقه» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبدالله ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه ، يحدث عن النبي ﷺ قال «ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة : يا ربنا عبدك فلان قد حبسته ، فيقول الرب جل جلاله : اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت» إسناده جيد قوي ، ولم يخرجوه . وقال معمر عن قتادة ﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال عمله ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ قال : نخرج ذلك العمل ﴿كتاباً يلقاه منشوراً﴾ قال معمر ، وتلا الحسن البصري ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً ، اقرأ كتابك الآية ؛ فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك ، هذا من أحسن كلام الحسن ، رحمه الله .

مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق ، واقتفى أثر النبوة ، فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ، ﴿ومن ضل﴾ أي عن الحق ، وزاغ عن سبيل الرشاد ، فإنما يجني على نفسه ، وإنما يعود وبال ذلك عليه ؛ ثم قال ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا يحمل أحد ذنب أحد ، ولا يجني جان إلا على نفسه ؛ كما قال تعالى : ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء﴾ ولا منافاة بين هذا وبين قوله ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ ، وقوله ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم ، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار اولئك ، ولا يحمل عنهم شيئاً ، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده ، وكذا قوله تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ إخبار عن عدله تعالى ، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسول إليه ، كقوله تعالى : ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير* قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ وكذا قوله ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ وقال تعالى : ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحداً النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت معجمة في صحيح البخاري عند قوله تعالى : ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ .

حدثنا عبدالله بن سعيد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الأعرج بإسناده إلى أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «اختصمت الجنة والنار» فذكر الحديث إلى ان قال «وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحداً ، وإنه ينشيء للنار خلقاً فيلقون فيها ، فتقول هل من مزيد ؟ ثلاثاً» وذكر تمام الحديث ، فهذا إنما جاء في الجنة ، لأنها دار فضل ؛ وأما النار فإنها دار عدل لا يدخلها احد الا بعد الإعذار إليه وقيام الحجة عليه . وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة ، وقالوا : لعله انقلب على الراوي بدليل ما أخرجاه في الصحيحين ، واللفظ للبخاري من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ «تحاجت الجنة والنار» فذكر الحديث إلى أن قال «فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع فيها قدمه ، فتقول : قط قط ، فهناك تمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض . ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله ينشيء لها خلقاً» .

بقي ههنا مسألة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديماً وحديثاً ، وهي الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار : ماذا حكمهم ؟ وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة ؟ وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه ، ثم نذكر فصلاً ملخصاً من كلام الأئمة في ذلك والله المستعان .

[فالحديث الأول] عن الأسود بن سريع . قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبدالله ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي عن قتادة عن الأحنف بن قيس ، عن الأسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال «أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول : رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ؛ وأما الأحمق فيقول : رب قد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ؛ وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول . فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً» . وبالإسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن ابي هريرة مثله ، غير أنه قال في آخره «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب إليها» ؛ وكذا رواه إسحاق بن راهوية عن معاذ بن هشام ؛ ورواه البيهقي في كتاب الإعتقاد من حديث أحمد بن إسحاق عن علي بن عبد الله المديني به ، وقال : هذا إسناد صحيح ؛ وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «أربعة كلهم يدلي على الله بحجة» فذكر نحوه ؛ ورواه ابن جرير من حديث معمر عن همام عن أبي هريرة ، فذكره مرفوعاً ، ثم قال أبو هريرة : فاقرأوا ان شئتم ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وكذا رواه معمر عن عبدالله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفاً .

[الحديث الثاني] عن أنس بن مالك قال ابو داود الطيالسي : حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أبان قال : قلنا لأنس : يا أبا حمزة ما تقول في أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ «لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها ، فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها ، فيكونوا من أهل الجنة» .

[الحديث الثالث] عن أنس أيضاً . قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا ابو خيثمة ، حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث ، عن انس قال : قال رسول الله ﷺ «يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعتوه ، ومن مات في الفترة ، والشيخ الفاني الهرم كلهم يتكلم بحجته» فيقول الرب تبارك وتعالى : لعنق من النار أبرز ، ويقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه ، قال : فيقول من كتب عليه الشقاء : يا رب أنى ندخلها ومنها كنا نفر ؟ قال : ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، فقال : فيقول الله تعالى : أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ، وهكذا رواه الحافظ ابو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله .

[الحديث الرابع] عن البراء بن عازب رضي الله عنه . قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أيضاً : حدثنا قاسم بن أبي شيبة ، حدثنا عبدالله يعني ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن أمية ، عن البراء قال : سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين ، قال «هم مع آبائهم» ، وسئل عن أولاد المشركين ؛ فقال «هم مع آبائهم» فقيل : يا رسول الله ما يعملون ؟ قال «الله أعلم بهم» ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن أمية عن رجل عن البراء عن عائشة ، فذكره .

[الحديث الخامس] عن ثوبان . قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده : حدثنا إبراهيم سعيد الجوهري ، حدثنا ريحان سعيد ، حدثنا عباد منصور عن أيوب ، عن أبي قلابة عن أبي أسماء ، عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن المسألة قال «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم ، فيسألهم ربهم ، فيقولون : ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ، ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك ؛ فيقول لهم ربهم : أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون : نعم ، فيأمرهم أن يعمدوا الى جهنم فيدخلوها ، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً ، فرجعوا إلى ربهم ، فيقولون : ربنا أخرجنا أو أجرنا منها ، فيقول لهم : ألم تزعموا اني إن أمرتكم بأمر تطيعوني فيأخذ على ذلك مواثيقهم ، فيقول : اعمدوا اليها فادخلوها ، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا منها ورجعوا وقالوا : ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها ، فيقول : ادخلوها داخرين» فقال نبي الله ﷺ «لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً» ثم قال البزار : ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه ، لم يروه عن أيوب إلا عباد ، ولا عن عباد إلا ريحان بن سعيد ، قلت : وقد ذكره ابن حيان في ثقاته ، وقال يحيى بن معين والنسائي : لا بأس به ، ولم يرضه ابو داود ، وقال ابو حاتم : شيخ لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به .

[الحديث السادس] عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري . قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ «الهالك في الفترة والمعتوه والمولود ، يقول الهالك في الفترة : لم يأتني كتاب ، ويقول المعتوه : رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ، ويقول المولود : رب لم أدرك العقل ، فترفع لهم نار ، فيقال لهم : ردوها ، قال : فيردها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك

العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل ، فيقول : إياي عصيتم ، فكيف لو أن رسلي أتتكم ؟!» وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ؛ ثم قال : لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه عن عطية عنه ، وقال في آخره «فيقول الله إياي عصيتم ، فكيف برسلي بالغيب ؟» .

[الحديث السابع] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري : حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني ، عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال «يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً ، فيقول الممسوخ : يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد مني» وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك «فيقول الرب عز وجل : إني آمركم بأمر فتطيعوني ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : اذهبوا فادخلوا النار ، قال : ولو دخلوها ما ضرتهم ، فتخرج عليهم قوابص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعاً ، ثم يأمرهم ثانية ، فيرجعون كذلك ، فيقول الرب عز وجل : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون ، وعلى علمي خلقتكم ، وإلى علمي تصيرون ، ضميهم ، فتأخذهم النار» .

[الحديث الثامن] عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه . قد تقدم روايته مدرجة مع رواية الأسود بن سريع رضي الله عنه . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟» وفي رواية قالوا : يا رسول الله ، أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال «الله أعلم بما كانوا عاملين» . وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا عبد الرحمن ابن ثابت عن عطاء بن قرة عن عبدالله بن ضمرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم ـ شك موسى ـ قال «ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام» وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل انه قال «إني خلقت عبادي حنفاء» ، وفي رواية لغيره «مسلمين» .

[الحديث التاسع] ـ عن سمرة رضي الله عنه . رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخاري من حديث عوف الأعرابي . عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال «كل مولود يولد على الفطرة» فناداه لناس : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال «وأولاد المشركين» . وقال الطبراني : حدثنا عبدالله بن احمد ، حدثنا عقبة بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب ، عن عباد بن منصور عن ابي رجاء ، عن سمرة قال : سألنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين ؛ فقال «هم خدم أهل الجنة» .

[الحديث العاشر] عن عم خنساء قال أحمد : حدثنا روح ، حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية ، من بني صريم قالت : حدثني عمي قال : قلت : يا رسول الله من في الجنة ؟ قال «النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والوئيد في الجنة» . فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان ، فقال له جبريل : هذا إبراهيم عليه السلام ، وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين ، قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال «نعم وأولاد المشركين» ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام «هم مع آبائهم» ومنهم من ذهب إلى انه [يمتحنون يوم القيامة في العرصات] ، فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخراً وانكشف علم الله به بسابق الشقاوة وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض ، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الإعتقاد ، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد . وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري بعد ما تقدم من أحاديث الإمتحان ، ثم قال : وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة ، وأهل العلم ينكرونها ، لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء ، فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ؟

[والجواب] عما قال أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ، ومنها ما حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة معاضدة على هذا النمط ، أفادت الحجة عند الناظر فيها . وأما قوله إن الدار الآخرة دار جزاء ، فلا شك أنها دار جزاء ، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار ، كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال وقد قال تعالى : ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود﴾ الآية .

وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة ، وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقاً واحداً كلما أراد السجود خرّ لقفاه . وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها ، أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه ، ويتكرر ذلك مراراً ويقول الله تعالى : يا ابن آدم ما أغدرك ، ثم يأذن له في دخول الجنة ؛ وأما قوله : فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم ، فليس هذا بمانع من صحة الحديث ، فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط ، وهو جسر على جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعرة ، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، ومنهم الساعي ومنهم الماشي ومنهم من يحبو حبواً ومنهم المكدوش على وجهه في النار ، وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم .

وأيضاً فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار ، فانه يكون عليه برداً وسلاماً ، فهذا نظير ذاك ، وأيضاً فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضاً حتى قتلوا فما قيل في غداة واحدة سبعين ألفاً ، يقتل الرجل أباه وأخاه ، وهم في عماية غمامة أرسلها الله عليهم ، وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل ، وهذا أيضاً شاق على النفوس جداً لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور ، والله أعلم .

[فصل]إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال [أحدها] أنهم في الجنة . واحتجوا بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع ابراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين ، وبما تقدم في رواية أحمد عن خنساء عن عمها أن رسول الله ﷺ قال «والمولود في الجنة» وهذا إستدلال صحيح ، ولكن أحاديث الامتحان أخص منه . فمن علم الله منه أنه يطيع جعل روحه في البرزخ مع إبراهيم واولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجيب ، فأمره الى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار ، كما دلت عليه أحاديث الامتحان ، ونقله الأشعري عن أهل السنة ، ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ، ومنهم من يجعلهم خدماً لهم ، كما جاء في حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف ، والله أعلم .

[والقول الثاني] أنهم مع آبائهم في النار . واستدل عليه بما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي المغيرة ، حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب ، حدثني عبدالله بن أبي قيس مولى غطيف أنه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار ؛ فقال : قال : رسول الله ﷺ «هم تبع لآبائهم» فقلت : يا رسول الله بلا أعمال ؟ فقال «الله أعلم بما كانوا عاملين» واخرجه ابو داود من حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الالهاني ، سمعت عبدالله بن ابي قيس ، سمعت عائشة تقول : سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المؤمنين ، قال «هم مع آبائهم» قلت : فذراري المشركين ؟ قال «هم مع آبائهم» فقلت بلا عمل ؟ قال «الله أعلم بما كانوا عاملين» ورواه أحمد أيضاً عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك من مولاته بهية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله ﷺ فقال «إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار» .

وروى عبدالله بن الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان ، عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية ؛ فقال «هما في النار» قال : فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما» قالت : فولدي منك ؟ قال «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار ـ ثم قرأ ـ ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ وهذا حديث غريب ، فإن في إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال ، وشيخه زاذان لم يدرك علياً ، والله أعلم .

وروى أبو داود من حديث ابن أبي زائدة عن ابيه عن الشعبي قال : قال رسول الله ﷺ «الوائدة والموءودة في النار» ثم قال الشعبي : حدثني به علقمة عن أبي وائل عن ابن مسعود ، وقد رواه جماعة عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبي ﷺ فقلنا : إن أمنا ماتت في الجاهلية ، وكانت تقري الضيف ، وتصل الرحم ، وإنها وأدت أختاً لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث . فقال «الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم» وهذا إسناد حسن .

[والقول الثالث] التوقف فيهم . واعتمدوا على قوله ﷺ «الله أعلم بما كانوا عاملين» وهو في الصحيحين من حيث جعفر بن أبي إياس عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين ، قال «الله أعلم بما كانوا عاملين» وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد ، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي أنه سئل عن أطفال المشركين ، فقال «الله أعلم بما كانوا عاملين» ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف ، وهذا القول يرجع

إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة ، لأن الأعراف ليس دار قرار ومآل أهلها الى الجنة ، كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف ، والله أعلم .

[فصل] وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة ، وهذا هو المشهور بين الناس ، وهو الذي نقطع به إن شاء الله عز وجل . فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن الولدان كلهم تحت المشيئة ، قال أبو عمر : ذهب الى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث ، منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهوية وغيرهم ، قالوا : وهو يشبه ما رسم مالك في موطئه في أبواب القدر ، وما أورده من الأحاديث في ذلك ، وعلى ذكر ذلك أكثر أصحابه ، وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا الى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة ، انتهى كلامه ، وهو غريب جداً ، وقد ذكر أبو عبدالله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضاً ، والله أعلم .

وقد ذكروا في ذلك أيضاً حيث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال «أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم» رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة .

ولما كان الكلام في هذه المسألة يحتاج الى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع ، كره جماعة من العلماء الكلام فيها ، روي ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم ، وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم : سمعت أبا رجاء العطاردي ، سمعت ابن عباس رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : قال رسول الله ﷺ «لا يزال أمر هذه الأمة مواتياً أو مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر» قال ابن حبان : يعني أطفال المشركين ، وهكذا رواه أبو بكر البزار من طريق جرير بن حازم ؛ ثم قال : وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفاً .

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

اختلف القراء في قراءة قوله ﴿أمرنا﴾ فالمشهور قراءة التخفيف ، واختلف المفسرون في معناها ، فقيل : معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قدرياً ، كقوله تعالى : ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً﴾ فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا : معناه أنه سخرهم الى فعل الفواحش ، فاستحقوا العذاب ، وقيل : معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش ، فاستحقوا العقوبة ، رواه ابن جريج عن ابن عباس ، وقاله سعيد بن جبير أيضاً . وقال ابن جرير : يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ، قلت إنما يجيء هذا على قراءة من قرأ ﴿أمّرنا مترفيها﴾ ، قال علي ابن طلحة عن ابن عباس قوله ﴿أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ يقول : سلطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب ، وهو قوله ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾ الآية ؛ وكذا قال أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس .

وقال العوفي عن ابن عباس ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ يقول ؛ أكثرنا عددهم ، وكذا قال عكرمة والحسن الضحاك وقتادة . وعن مالك ، عن الزهري ﴿أمرنا مترفيها﴾ أكثرنا ، وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد ، حيث قال : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا ابو نعيم العدوي عن مسلم بن بديل ، عن إياس بن زهير ، عن سويد بن هبيرة ، عن النبي ﷺ قال «خير مال امرىء له مهرة مأمورة ، أو سكة مأبورة» قال الامام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب : «المأمورة كثيرة النسل ، والسكة الطريقة المصطفة من النخل ، والمأبورة من التأبير» وقال بعضهم : إنما جاء هذا متناسباً كقوله «مأزورات غير مأجورات» .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى منذراً كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ ، بأنه قد أهلك أمماً من المكذبين للرسل من بعد نوح ،

ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام ، كما قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام . ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق ، فعقوبتكم أولى وأحرى . وقوله ﴿وكفى بربك بذنوب عبادة خبيراً بصيراً﴾ أي هو عالم جميع أعمالهم : خيرها وشرها لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى .

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له ، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء ، وهذه مقيدة لاطلاق ما سواها من الآيات ، فانه قال ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم﴾ أي في الدار الآخرة ﴿يصلاها﴾ أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه ﴿مذموماً﴾ أي في حال كونه مذموماً على سوء تصرفه وصنيعه ، إذ إختار الفاني على الباقي ﴿مدحوراً﴾ مبعداً مقصياً ذليلاً مهاناً .

روى الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا رويد عن أبي إسحاق ، عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له» . وقوله ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ ﴿وهو مؤمن﴾ أي قلبه مؤمن ، أي مصدق بالثواب والجزاء ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ .

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى : ﴿كلاً﴾ أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نمدهم فيما فيه ﴿من عطاء ربك﴾ أي هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور ، فيعطي كلاً ما يستحقه من السعادة والشقاوة ، فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ، ولهذا قال ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ أي لا يمنعه أحد ، ولا يرده راد . قال قتادة ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ أي منقوصاً ، وقال الحسن وغيره : أي ممنوعاً ؛ ثم قال تعالى : ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي في الدنيا ، فمنهم الغني والفقير وبين ذلك ، والحسن والقبيح وبين ذلك ، ومن يموت صغيراً ، ومن يعمر حتى يبقى شيخاً كبيراً ، وبين ذلك ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ أي ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا ، فإن منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون في الدرجات العليا ونعيمها وسرورها ، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه ، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون ، فان الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . وفي الصحيحين «إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء» ولهذا قال تعالى : ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ وفي الطبراني من رواية زاذان عن سلمان مرفوعاً «ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع ، إلا وضعه الله في الآخرة أكبر منها» ثم قرأ ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ .

لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ، والمراد المكلفون من الأمة : لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكاً ﴿فتقعد مذموما﴾ أي على إشراكك به ﴿مخذولا﴾ لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذي عبدت معه ، وهو لا يملك لك ضراً ولا نفعاً ، لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له ؛ وقد قال الامام احمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا بشير بن سليمان عن سيار أبي الحكم ، عن طارق بن شهاب ، عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغنى إما آجلاً وإما غنى عاجلاً» ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سليمان به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، فان القضاء ههنا بمعنى الأمر ، قال مجاهد ﴿وقضى﴾ يعني وصى ، وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ ولهذا قرن بعبادته برّ الوالدين ، فقال ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي وأمر بالوالدين إحساناً ، كقوله في الآية الأخرى ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾ . وقوله ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف﴾ أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء ﴿ولا تنهرهما﴾ أي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله ﴿ولا تنهرهما﴾ أي لا تنفض يدك عليهما ، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح ، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن ، فقال ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم ، ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أي تواضع لهما بفعلك ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ أي في كبرهما وعند وفاتهما ، قال ابن عباس : ثم أنزل الله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية .

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره أن النبي ﷺ لما صعد المنبر قال «آمين آمين آمين» قيل يا رسول الله علام ما أمنت ؟ قال «أتاني جبريل فقال : يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل : آمين ، فقلت آمين ، ثم قال : رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل : آمين ، فقلت آمين ، ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل : آمين ، فقلت آمين» .

[حديث آخر] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أبي أوفى عن مالك بن الحارث ، عن رجل منهم أنه سمع النبي ﷺ يقول «من ضم يتيماً من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه ، وجبت له الجنة البتة ، ومن أعتق امرأ مسلماً ، كان فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضواً منه» ثم قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت علي بن زيد فذكر معناه ، إلا أنه قال عن رجل من قومه يقال له مالك أو ابن مالك ، وزاد «ومن أدرك والديه أو أحدهما ، فدخل النار فأبعده الله» .

[حديث آخر] ـ وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان عن حماد بن سلمة ، حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أبي أوفى عن مالك بن عمرو القشيري ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ، فإن كل عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل ، ومن ضم يتيماً من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة» .

[حديث آخر] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قالا : حدثنا شعبة عن قتادة ، سمعت زرارة بن أبي أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال : قال النبي ﷺ «من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك ، فأبعده الله وأسحقه» ، ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة به ، وفيه زيادات أخر .

[حديث آخر] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال «رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عنده الكبر ولم يدخل الجنة» صحيح من هذا الوجه ، ولم يخرجوه ، سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجرير وسليمان بن بلال عن سهيل به .

[حديث آخر] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا ربعي بن إبراهيم ، قال أحمد وهو أخو إسماعيل بن علية وكان يفضل على أخيه ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فانسلخ فلم يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر ، فلم يدخلاه الجنة» قال ربعي : ولا أعلمه إلا قال «أو أحدهما» . ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن ربعي بن إبراهيم ، ثم قال : غريب من هذا الوجه .

[حديث آخر] ـ قال الامام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، حدثنا أسيد بن علي عن ابيه عن ابي عبيد ، عن ابي أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال : بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ ، إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال «نعم خصال أربع : الصلاة

عليهما : والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما ، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما» ورواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به .

[حديث آخر] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال «فهل لك من أم» قال نعم قال «فالزمها فان الجنة عند رجليها» ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول ، ورواه النسائي وابن ماجة من حديث ابن جريج به .

[حديث آخر] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال «إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب» وأخرجه ابن ماجة من حديث عبدالله بن عياش به .

[حديث آخر] ـ قال أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبيه ، عن رجل من بني يربوع قال : أتيت النبي ﷺ فسمعته وهو يكلم الناس يقول «يد المعطي العليا ، أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك» .

[حديث آخر] ـ قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده : حدثنا إبراهيم بن المستمر العروقي ، حدثنا عمرو بن سفيان ، حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن ليث بن أبي سليم عن علقمة بن يزيد ، عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ : هل أديت حقها ؟ قال «لا ولا بزفرة واحدة» أو كما قال ، ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه . قلت : والحسن بن أبي جعفر ضعيف ، والله أعلم .

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

قال سعيد بن جبير : هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه ، وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ؛ وفي رواية : لا يريد إلا الخير بذلك ، فقال ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين﴾ . وقوله ﴿فانه كان للأوابين غفوراً﴾ قال قتادة : للمطيعين أهل الصلاة ؛ وعن ابن عباس : المسبحين ، وفي رواية عنه : المطيعين المحسنين ؛ وقال بعضهم : هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم : هم الذين يصلون الضحى . وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ قال : الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ، ويصيبون الذنب ثم يتوبون ؛ وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب بنحوه ؛ وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به .

وقال عطاء بن يسار بن جبير ومجاهد : هم الراجعون إلى الخير . وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية : هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها ، ووافقه مجاهد في ذلك . وقال عبد الرزاق : حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ قال : كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول : اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا . وقال ابن جرير : والأولى في ذلك قول من قال : هو التائب من الذنب ، الرجاع من المعصية الى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذي قاله هو الصواب ، لأن الأواب مشتق من الأوب ، وهو الرجوع ؛ يقال : آب فلان إذا رجع ، قال تعالى : ﴿إن إلينا إيابهم﴾ وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا رجع من سفر قال «آيبون تائبون ، عابدون لربنا حامدون» .

وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين ، عطف بذكر الإحسان الى القرابة وصلة الأرحام ، وفي الحديث «أمك وأباك ثم أدناك أدناك» ، وفي رواية «ثم الأقرب فالأقرب» ، وفي الحديث «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله ، فليصل رحمه» وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عباد بن يعقوب ، حدثنا أبو يحيى التميمي ، حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي

سعيد قال : لما نزلت ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك ، ثم قال : لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق الا أبو يحيى التميمي وحميد بن حماد بن أبي الجوزاء ، وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده ، لأن الآية مكية ، فدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة ، فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذاً حديث منكر ، والأشبه أنه من وضع الرافضة ، والله أعلم ، وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا .

وقوله ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ لما أمر بالإنفاق ، نهى عن الإسراف فيه ، بل يكون وسطاً كما قال في الآية الأخرى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ الآية ، ثم قال منفراً عن التبذير والسرف ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي أشباههم في ذلك . قال ابن مسعود : التبذير الإنفاق في غير حق ؛ وكذا قال ابن عباس ، وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً . وقال قتادة : التبذير النفقة في معصية الله تعالى ، وفي غير الحق والفساد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : أتى رجل من بني تميم الى رسول الله فقال : يا رسول الله إني ذو مال كثير ، وذو أهل وولد وحاضرة ، فأخبرني كيف أنفق ، وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ «تخرج الزكاة من مالك إن كان ، فانها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق السائل والجار والمسكين» فقال : يا رسول الله أقلل لي ؟ قال ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً﴾ فقال : حسبي يا رسول الله إذا أديت الزكاة الى رسولك فقد برئت منها الى الله والى رسوله ؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم إذا أديتها الى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها ، وإثمها على من بدلها» .

وقوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ، ولهذا قال ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ أي جحوداً ، لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته ، بل أقبل على معصيته ومخالفته . وقوله ﴿وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك﴾ الآية ؛ أي إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شيء ، وأعرضت عنهم لفقد النفقة ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي عدهم وعداً بسهولة ولين ، إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاءالله . هكذا فسر قوله ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ بالوعد ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

يقول تعالى آمراً بالإقتصاد في العيش ، ذاماً للبخل ، ناهياً عن السرف ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي لا تكن بخيلاً نوعاً ، لا تعطي أحداً شيئاً ، كما قالت اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ يد الله مغلولة أي نسبوه الى البخل ، تعالى وتقدس الكريم الوهاب . وقوله ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أي ولا تسرف في الإنفاق ، فتعطي فوق طاقتك ، وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوماً محسوراً ، وهذا من باب اللف والنشر ، أي فتقعد ان بخلت ملوماً يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك ، كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة .

ومن كان ذا مال فيبخل بماله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك ، قعدت بلا شي تنفقه ، فتكون كالحسير ، وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفاً وعجزاً ، فانها تسمى الحسير ، وهو مأخوذ من الكلال ، كما قال ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور*ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ أي كليل عن أن يرى عيباً ، هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم . وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة منها مكانها ، فهو يوسعها فلا تتسع» هذا لفظ البخاري في الزكاة .

وفي الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر ، عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله ﷺ «انفقي هكذا وهكذا وهكذا ، ولا توعي فيوعي الله عليك ، ولا توكي فيوكي الله عليك» . وفي لفظ

«ولا تحصي فيحصي الله عليك» . وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله قال لي ؛ أنفق ، أنفق عليك» وفي الصحيحين من طريق معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً» .

وروى مسلم عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعاً «ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبداً أنفق إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه الله» وفي حديث أبي كثير عن عبدالله بن عمر مرفوعاً «إياكم والشحّ فانه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا» . وروى البيهقي من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية عن الأعمش ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ «ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحي سبعين شيطاناً» .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنا مسكين بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص ، عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «ما عال من اقتصد» وقوله ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ إخبار انه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء ، فيغني من يشاء ، ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ أي خبيراً بصيراً بمن يستحق الغنى ويستحق الفقر ، كما جاء في الحديث «إن من عبادي لمن لا يصلحه ، إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه» وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً ، والفقر عقوبة ، عياذاً بالله من هذا وهذا .

وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده ، لأنه نهى عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء بالأولاد في الميراث ، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته ، فنهى الله تعالى عن ذلك وقال ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أي خوف أن تفتقروا في ثاني الحال ، ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ وفي الأنعام ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ أي من فقر ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ . وقوله ﴿إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ أي ذنباً عظيماً ، وقرأ بعضهم : كان خطأ كبيراً وهو بمعناه ، وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك ـ قلت : ثم أي ؟ ـ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ـ قلت : ثم أي ؟ ـ قال : أن تزني بحليلة جارك» .

وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ناهياً عباده عن الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة﴾ أي ذنباً عظيماً ﴿وساء سبيلاً﴾ < ب < ١ أي بئس طريقاً ومسلكاً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا جرير ، حدثنا سليم بن عامر عن أبي امامة أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أئذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ؛ فقال «ادنه» فدنا منه قريباً ؛ فقال «اجلس» فجلس ، فقال «أتحبه لأمك» ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال «أفتحبه لابنتك ؟» قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال «أفتحبه لأختك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال «أفتحبه لعمتك ؟» قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال «أفتحبه لخالتك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال فوضع يده عليه ، وقال «اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وأحصن فرجه» قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عمار بن نصر ، حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي ، عن النبي ﷺ قال «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له» .

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعي ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» . وفي السنن «لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم» . وقوله ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾ أي سلطة على القاتل ، فانه بالخيار فيه ان شاء قتله قوداً ، وإن شاء عفا عنه على الدية ، وإن شاء عفا عنه مجاناً ، كما ثبتت السنة بذلك ، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة أنه سيملك لأنه كان ولي عثمان ، وقد قتل عثمان مظلوماً رضي الله عنه ، وكان معاوية يطالب علياً رضي الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم ، لأنه أموي ، وكان علي رضي الله عنه يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ، ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك ، حتى يسلمه القتلة ، وأبى أن يبايع علياً هو وأهل الشام ، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر اليه ، كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة ، وهذا من الأمر العجب .

وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال : حدثنا يحيى بن عبد الباقي ، حدثنا أبو عمير بن النحاس ، حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق ، عن زهدم الجرمي قال : كنا في سمر ابن عباس فقال : إني محدثكم بحديث ليس بسر ولا علانية ، إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان (يعني عثمان) ، قلت لعلي : اعتزل فلو كنت في جحر طلبت حتى تستخرج فعصاني ، وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية ، وذلك أن الله يقول ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل﴾ الآية ، وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم ، وليقيمن عليكم النصارى واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ، ومن ترك وأنتم تاركون كنتم كقرن من القرون هلك فيمن هلك وقوله ﴿فلا يسرف في القتل﴾ قالوا : معناه فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل . وقوله ﴿إنه كان منصوراً﴾ أي إن الولي منصور على القاتل شرعاً وغالباً وقدراً .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

يقول تعالى : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾ أي لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالغبطة ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي : لا تأمرن على اثنين ، ولا توليَن مال يتيم » وقوله ﴿وأوفوا بالعهد﴾ أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها ، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ أي عنه .

وقوله ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ أي من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ قرىء بضم القاف وكسرها ، كالقرطاس ، وهو الميزان . قال مجاهد : هو العدل بالرومية . وقوله ﴿المستقيم﴾ أي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ﴿ذلك خير﴾ أي لكم في معاشكم ومعادكم ، ولهذا قال ﴿وأحسن تأويلا﴾ أي مآلا ومنقلباً في آخرتكم . قال سعيد عن قتادة ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ أي خير ثواباً وأحسن عاقبة . وابن عباس كان يقول : يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم : هذا المكيال ، وهذا الميزان ؛ قال : وذكر لنا أن نبي الله عليه الصلاة والسلام كان يقول «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ، إلا أبدله الله به في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك» .

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : لا تقل . وقال العوفي : لا ترم أحداً بما ليس لك به علم . وقال محمد بن الحنفية : يعني شهادة الزور . وقال قتادة : لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم ، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ؛ ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذي هو التوهم والخيال ، كما قال تعالى : ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ وفي الحديث «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» . وفي سنن ابي داود «بئس مطية الرجل زعموا» وفي الحديث الآخر «إن أفرى الفرى أن يريَ الرجل عينيه ما لم تريا» . وفي الصحيح «من تحلم حلماً كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل» .

وقوله ﴿كل أولئك﴾ أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿كان عنه مسئولا﴾ أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة ، وتسأل عنه وعما عمل فيها ، ويصح استعمال اولئك مكانَ تلك ، كما قال الشاعر :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ناهياً عباده عن التجبر والتبختر في المشية ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي متبخترا متمايلاً مشي الجبارين ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي لن تقطع الأرض بمشيك ، قاله ابن جرير ، واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجاج :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

وقوله ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده ، كما ثبت في الصحيح «بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما ، اذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة» وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته ، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض ، وفي الحديث «من تواضع لله رفعه الله ، فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير ، حتى لهو أبغض اليهم من الكلب والخنزير ، وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا حجاج بن محمد عن أبي بكر الهذلي قال : بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهيم يريد المنصور ، وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه ، وانفرج عنها قباؤه ، وهو يمشي ويتبختر ، إذ نظر اليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثاني عطفه ، مصعر خده ، ينظر في عطفيه ، أي حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدي حق الله منها ، والله إن يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة ، فسمعه ابن الأهيم فرجع يعتذر اليه ، فقال : لا تعتذر الي وتب الى ربك ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ .

ورأى البختري العابد رجلاً من آل علي يمشي وهو يخطر في مشيته ، فقال له : يا هذا ، إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته ، قال : فتركها ورأى ابن عمر رجلاً يخطر في مشيته فقال : إن للشياطين إخواناً . وقال خالد بن معدان : إياكم والخطر ، فإن الرجل يده من سائر جسده ، رواهما ابن أبي الدنيا ؛ وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف ابن هشام البزار ، حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن سعيد عن محسن قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مشيت أمتي المطيطاء ، وخدمتهم فارس والروم ، سلط بعضهم على بعض» .

وقوله ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾ أما من قرأ سيئة ، أي فاحشة فمعناه عنده كل هذا الذي نهينا عنه من قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ الى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروهاً عند الله لا يحبه ولا يرضاه ، وأما من قرأ سيئه على الإضافة فمعناه عنده كل هذا الذي ذكرناه من قوله ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ الى هنا فسيئه أي قبيحه مكروه عند الله ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله .

ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

يقول تعالى : هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة ، مما أوحينا اليك يا محمد

لتأمر به الناس ، ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً﴾ أي تلومك نفسك ويلومك الله والخلق ، ﴿مدحوراً﴾ أي مبعداً من كل خير ، قال ابن عباس وقتادة : مطروداً ، والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ ، فانه صلوات الله وسلامه عليه معصوم .

أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

يقول تعالى رداً على المشركين الكاذبين الزاعمين ، عليهم لعائن الله : أن الملائكة بنات الله ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ، ثم عبدوهم فأخطأوا في كل من المقامات الثلاث خطأ عظيماً ؛ فقال تعالى منكراً عليهم ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ أي خصصكم بالذكور ﴿واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ أي واختار لنفسه على زعمكم البنات ؛ ثم شدد الإنكار عليهم فقال ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ أي في زعمكم أن لله ولداً ، ثم جعلكم ولده الإناث التي تأنفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن بالوأد ، فتلك إذاً قسمة ضيزى ، وقال تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً*لقد جئتكم شيئاً إداً*تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً*أن دعوا للرحمن ولداً*وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً*إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً*وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

يقول تعالى : ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يذكرون ما فيه من الحجج والبينات والمواعظ ، فينزجروا عما هم فيه من الشرك والظلم والافك ، ﴿وما يزيدهم﴾ أي الظالمين منهم ﴿إلا نفوراً﴾ أي عن الحق وبعداً منه .

قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكاً من خلقه ، العابدين معه غيره ، ليقربهم اليه زلفاً لو كان الأمر كما يقولون ، وأن معه آلهة تعبد لتقرب اليه وتشفع لديه ، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون اليه ويبتغون اليه الوسيلة والقربة ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ، ولا حاجة لكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه ، فانه لا يحب ذلك ولا يرضاه ، بل يكرهه ويأباه ؛ وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ، ثم نزه نفسه الكريمة وقدّسها فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون﴾ أي هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى ﴿علواً كبيراً﴾ أي تعالياً كبيراً ، بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحد .

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى : تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن ، أي من المخلوقات ، وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون ، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

كما قال تعالى : ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً*أن دعوا للرحمن ولداً﴾ وقال أبو

القاسم الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة ، حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به الى المسجد الأقصى ، كان بين المقام وزمزم ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فطارا حتى بلغ السموات السبع . فلما رجع قال «سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى ، من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا ، سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى» .

وقوله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس ، لأنها بخلاف لغاتكم ، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات ، وهذا أشهر القولين ؛ كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل ، وكذا في يد أبي بكر وعمرو عثمان رضي الله عنهم ، وهو حديث مشهور في المسانيد وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زُبَان عن سهل بن معاذ عن ابن أنس ، عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل ، فقال لهم «اركبوها سالمة ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق ، فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله منه» .

وفي سنن النسائي عن عبدالله بن عمرو قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع ، وقال «نقيقها تسبيح» . وقال قتادة عن عبدالله بن أبي عن عبدالله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله ، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها ، وإذا قال : الحمد لله ، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، وإذا قال : الله أكبر ، فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال : سبحان الله ، فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحداً من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح . وإذا قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : أسلم عبدي واستسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن وهب ، حدثنا جرير ، حدثنا أبي ، سمعت مصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، عن عبدالله بن عمرو قال : أتى النبي ﷺ أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج ، أو مزورة بديباج ، فقال : إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل رأس بن رأس ؛ فقام إليه النبي ﷺ مغضباً فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقال «لا أرى عليك ثياب من لا يعقل» ثم رجع رسول الله ﷺ فجلس ، فقال «إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال : إني قاص عليكما الوصية آمركما باثنتين ، وأنهاكما عن اثنتين ؛ أنهاكما عن الشرك بالله والكبر ، وآمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ، ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى ، كانت أرجح ، ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها ، لقصمتها أو لفصمتها ، وآمركما بسبحان الله وبحمده ، فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء» ورواه الإمام أحمد أيضاً عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير به أطول من هذا وتفرد به .

وقال ابن جرير : حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، حدثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيد عن زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحاً عليه السلام قال لابنه : يا بني آمرك أن تقول : سبحان الله ، فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق ، وبها يرزق الخلق» قال الله تعالى : ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ إسناده فيه ضعف ، فان الأودي ضعيف عند الأكثرين . وقال عكرمة في قوله تعالى : ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ قال الأسطوانة تسبح والشجرة تسبح ـ الاسطوانة ـ السارية وقال بعض السلف : صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : الطعام يسبح ، ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج ، وقال آخرون : إنما يسبح ما كان فيه روح ، يعنون من حيوان ونبات .

قال قتادة في قوله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ قال : كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه ، وقال الحسن والضحاك في قوله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ قالا : كل شيء فيه الروح . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب ، قالا : حدثنا جرير أبو الخطاب ، قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام ، فقدموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي : يا أبا سعد ، يسبح هذا الخوان ؟ فقال : كان يسبح مرة ـ قلت : الخوان هو المائدة من الخشب ـ فكأن الحسن رحمه الله ، ذهب الى أنه لما كان حياً فيه خضرة كان يسبح ، فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه ، وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال «إنهما ليعذبان وما يعذبان في

كبير ، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز في كل قبر واحدة ، ثم قال «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» أخرجاه في الصحيحين ؛ قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء : إنما قال ما لم ييبسا لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة ، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما ، والله أعلم .

وقوله ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ أي إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره ، فان استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر ، كما جاء في الصحيحين «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة﴾ الآية ، وقال ﴿وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة﴾ الآيتين ، ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ، ورجع إلى الله وتاب اليه تاب عليه ، كما قال تعالى : ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله﴾ الآية ؛ وقال ههنا ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ كما قال في آخر فاطر ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾ إلى أن قال ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ إلى آخر السورة .

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ : وإذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن ، جعلنا بينك وبينهم حجاباً مستوراً . قال قتادة وابن زيد : هو الأكنة على قلوبهم ، كما قال تعالى : ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ أي مانع حائل أن يصل الينا مما تقول شيء . وقوله ﴿حجاباً مستوراً﴾ بمعنى ساتر كميمون ومشئوم بمعنى يامن وشائم ، لأنه من يمنهم وشؤمهم ، وقيل : مستوراً عن الأبصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ، ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو موسى الهروي إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا سفيان عن الوليد بن كثير ، عن يزيد بن تدرس ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت : لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول : مذمماً أتينا ـ أو أبينا ـ قال أبو موسى : الشك مني ، ودينه قلينا ، وأمره عصينا ؛ ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر رضي الله عنه : لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك ؛ فقال «إنها لن تراني» وقرأ قرآناً اعتصم به منها ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ قال : فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ فقالت : يا أبا بكر ، بلغني أن صاحبك هجاني ؛ قال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك ، قال : فانصرفت وهي تقول : لقد علمت قريش أني بنت سيدها .

وقوله ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ وهي جمع كنان الذي يغشى القلب ﴿أن يفقهوه﴾ أي لئلا يفهموا القرآن ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعاً ينفعهم ويهتدون به . وقوله تعالى ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ أي إذا وحدت الله في تلاوتك ، وقلت لا إله إلا الله ؛ ﴿ولّوْا﴾ أي أدبروا راجعين ﴿على أدبارهم نفوراً﴾ ونفور جمع نافر ، كقعود جمع قاعد ، ويجوز أن يكون مصدراً من غير الفعل ، والله أعلم . كما قال تعالى : ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ الآية ؛ قال قتادة في قوله ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن﴾ الآية ؛ إن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله ، أنكر ذلك المشركون ، وكبرت عليهم فضافها إبليس وجنوده ، فابى الله إلا أن يمضيها ويعليها وينصرها ويظهرها على من ناوأها ، إنها كلمة من خاصم بها فلح ، ومن قاتل بها نصر ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ؛ ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها .

[قول آخر في الآية]

روى ابن جرير : حدثني الحسين بن محمد الذارع ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في قوله ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوْا على أدبارهم نفوراً﴾ هم الشياطين ، وهذا غريب جداً في تفسيرها ، وإلا فالشياطين إذا قرىء القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفوا .

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

يخبر تعالى نبيه محمداً ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته ﷺ سراً من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر على المشهور ، أو من السحر وهو الرئة ، أي إن تتبعون إن اتبعتم محمداً إلا بشراً يأكل ، كما قال الشاعر :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز :

* يسحر بالطعام وبالشراب *

أي يغذى ، وقد صوب هذا القول ابن جرير ، وفيه نظر لأنهم أرادوا ههنا أنه مسحور له رئيٌ يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ، ومنهم من قال : شاعر . ومنهم من قال : كاهن . ومنهم من قال : مجنون ومنهم من قال : ساحر ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه مخلصاً ، قال محمد بن إسحاق في السيرة : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بن زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . قال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ؛ قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ قال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد القائلين إستفهام إنكار منهم لذلك ﴿أئذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ أي تراباً ، قاله مجاهد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : غباراً ، ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ أي يوم القيامة بعدما بلينا وصرنا عدما لا نذكر ، كما أخبر عنهم في الموضع الآخر ﴿يقولون أئنا لمردودون في الحافرة*أئذا كنا عظاماً نخرة*قالوا تلك إذا كرة خاسرة﴾ . وقوله تعالى : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ الآيتين ، فأمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال ﴿قل كونوا حجارة أو حديداً﴾ إذ هما أشد امتناعاً من العظام والرفات ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ قال ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : سألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : هو الموت ، وروى

عطية عن ابن عمر أنه قال في تفسير هذه الآية : لو كنتم موتى لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة و لضحاك وغيرهم ، ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم الى الموت الذي هو ضد الحياة ، لأحياكم الله إذا شاء ، فانه لا يمتنع عليه شيء اذا أراده .

وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثاً ﴿يجاء بالموت يوم القيامة وكأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ؛ ثم يقال : يا أهل النار أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ؛ فيذبح بين الجنة والنار ؛ ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت» وقال مجاهد ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ يعني السماء والأرض والجبال ، وفي رواية : ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم ، وقد وقع في التفسير المروي عن الإمام مالك عن الزهري في قوله ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ قال النبي ﷺ : قال مالك ويقولون هو الموت .

وقوله تعالى : ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً ﴿قل الذي فطركم أول مرة﴾ أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً ثم صرتم بشراً تنتشرون ، فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم الى أي حال ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ الآية ؛ وقوله تعالى : ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ قال ابن عباس وقتادة : يحركونها إستهزاء ، وهذا الذي قالاه هو الذي تعرفه العرب من لغاتها ، لأن الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظليم وهو ولد النعامة نغض ، لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك رأسه ، ويقال : نغضت سنه إذا تحركت وارتفعت من منبتها وقال الراجز :

ونغضت من هرم أسنانها

وقوله ﴿ويقولون متى هو﴾ إخبار عنهم بالإستبعاد منهم لوقوع ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ وقال تعالى : ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ . وقوله ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ أي احذروا ذلك ، فانه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة ، فكل ما هو آت آت . وقوله تعالى : ﴿يوم يدعوكم﴾ أي الرب تبارك وتعالى : ﴿اذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ أي إذا أمركم بالخروج منها ، فانه لا يخالف ولا يمانع ، بل كما قال تعالى : ﴿وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر﴾ ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ . وقوله ﴿فإنما هي زجرة واحدة*فإذا هم بالساهرة﴾ أي إنما هو أمر واحد بانتهار ، فاذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض الى ظاهرها ، كما قال تعالى : ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ أي تقومون كلكم إجابة لأمره وطاعة لارادته . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : فتستجيبون بحمده ، أي بأمره ، وكذا قال ابن جريج : وقال قتادة بمعرفته وطاعته .

وقال بعضهم ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ أي وله الحمد في كل حال . وقد جاء في الحديث «ليس على أهل لا اله إلا الله وحشة في قبورهم ، كأني بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون لا إله إلا الله» وفي رواية يقولون ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ وسيأتي في سورة فاطر . وقوله تعالى : ﴿وتظنون﴾ أي يوم تقومون من قبوركم ﴿إن لبثتم﴾ أي في الدار الدنيا ﴿إلا قليلاً﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ ، وقال تعالى : ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا*يتخافتون بينهم إن لبثتم الا عشرا*نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً﴾ ، وقال تعالى : ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾ ، وقال تعالى : ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين ، قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾ .

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ، نزغ الشيطان بينهم ، وأخرج الكلام الى الفعال ، وأوقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم ، وعداوته ظاهرة بينة ، ولهذا نهى أن يشير الرجل الى أخيه المسلم بحديدة ، فان الشيطان ينزغ في يده أي فربما أصابه بها .

وقال الإمام احمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

«لايشيرن أحدكم الى أخيه بالسلاح ، فانه لايدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار» أخرجاه من حديث عبد الرزاق . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أنبأنا علي بن زيد عن الحسن قال : حدثني رجل من بني سليط قال : أتيت النبي ﷺ وهو في رفلة من الناس فسمعته يقول «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى ههنا» قال حماد : وقال بيده الى صدره «وما تواد رجلان في الله ففرق بينهما إلا حدث يحدثه أحدهما ، والمحدث شر والمحدث شر والمحدث شر» .

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

يقول تعالى : ﴿ربكم أعلم بكم﴾ أيها الناس أي أعلم بمن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه ﴿أو إن يشأيعذبكم وما أرسلناك﴾ـ يامحمد ـ ﴿عليهم وكيلا﴾ أي إنما أرسلناك نذيراً ، فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار . وقوله ﴿وربك أعلم بمن في السموات والارض﴾ أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ وكما قال تعالى ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «لا تفضلوا بين الأنبياء» فان المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية لا بمقتضى الدليل فإذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولي العزم منهم أفضلهم ، وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ وفي الشورى في قوله ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ ولا خلاف أن محمداً ﷺ افضلهم ، ثم بعده إبراهيم ، ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور ، وقد بسطناه بدلائله في غير هذا الموضع ، والله الموفق . وقوله تعالى : ﴿وآتينا داود زبورا﴾ تنبيه على فضله وشرفه . قال البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنامعمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال «خفف على داود القرآن ، فكان يأمر بدوابه فتسرج ، فكان يقرؤه قبل أن يفرغ» يعني القرآن .

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

يقول تعالى : ﴿قل﴾ يامحمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم ﴿فـ﴾ إنهم ﴿لايملكون كشف الضر عنكم﴾ أي بالكلية ﴿ولا تحويلا﴾أي بأن يحولوه إلى غيركم ، والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر . قال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ الآية ، قال : كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا ، وهم الذين يدعون يعني في الملائكة والمسيح وعزيرا .

وقوله تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون﴾ الآية ، روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ قال : ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا ، وفي رواية : قال : كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن ، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم . وقال قتادة عن معبد بن عبد الله الروماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله ﴿أولئك الذين يدعون﴾ الآية ، قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن ، فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم ، لايشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية ، وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن فذكره .

وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾

قال : عيسى وأمه وعزير ؛ وقال مغيرة عن إبراهيم : كان ابن عباس يقول في هذه الآية : هم عيسى وعزير والشمس والقمر . وقال مجاهد : عيسى والعزير والملائكة . واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله ﴿يبتغون الى ربهم الوسيلة﴾ وهذا لايعبر به عن الماضي ، فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة ، وقال : والوسيلة هي القربة ؛ كما قال قتادة ، ولهذا قال ﴿أيهم أقرب﴾ . وقوله تعالى : ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ لاتتم العبادة الا بالخوف والرجاء فبالخوف ينكف عن المناهي ، وبالرجاء يكثر من الطاعات . وقوله تعالى : ﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ اي ينبغي أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله ، عياذا بالله منه .

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

هذا إخبار من الله عزوجل بأنه قد حتم وقضى بما عنده في اللوح المحفوظ : أنه ما من قرية إلا سيهلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم ﴿عذاباً شديداً﴾ إما بقتل او ابتلاء بما يشاء ، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم ، كما قال تعالى عن الأمم الماضين ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ وقال تعالى ؛ ﴿فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ وقال ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾ الآيات .

وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

قال سنيد عن حماد بن زيد عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : قال المشركون : يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ، ومنهم من كان يحيي الموتى ، فإن سرك أن نؤمن بك ونصدقك ، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً ، فأوحى الله اليه : إني قد سمعت الذي قالوا ، فان شئت ان نفعل الذي قالوا فإن لم يؤمنوا نزل العذاب ، فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن نستأني بقومك استأنيت بهم . قال «يارب استأن بهم» وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما ، وروى الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس ، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : سأل اهل مكة النبي ﷺ ان يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا ، فقيل له : إن شئت أن نستأني بهم ، وإن شئت أن يأتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا ، كما أهلكت من كان قبلهم من الأمم . قال «لا ، بل استأن بهم» وأنزل الله تعالى : ﴿وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ الآية ؛ ورواه النسائي وابن جرير به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن . حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم ، عن ابن عباس ، قال : قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك ان يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال «وتفعلون ؟» قالوا : نعم . قال : فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين» ، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة ؛ فقال «بل باب التوبة والرحمة» .

وقال الحافظ ابو يعلى في مسنده : حدثنا محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري ، حدثنا خلف بن تميم المصيصي عن عبد الجبار بن عمر الايلي ، عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت : سمعت الزبير يقول لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صاح رسول الله ﷺ عن أبي قبيس «يا آل عبد مناف إني نذير» فجاءته قريش فحذرهم وأنذرهم ، فقالوا : تزعم أنك نبي يوحى إليك ، وإن سليمان سخر له الريح والجبال ، وإن موسى سخر له البحر ، وإن عيسى كان يحيي الموتى فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً ، فنتخذ محارث فنزرع ونأكل ، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا لنكلمهم ويكلمونا ، وإلا فادع الله أن يصير لنا هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف ، فإنك تزعم انك كهيئتهم . قال : فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي ، فلما سرى عنه ، قال «والذي نفسي بيده ، لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت لكان ، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة

فيؤمن مؤمنكم ، وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة ، فلا يؤمن منكم أحد ، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين» ونزلت ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ وقرأ ثلاث آيات ونزلت ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ الآية . ولهذا قال تعالى : ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ اي نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك فإنه سهل علينا يسير لدينا إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها ، وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها ، كما قال الله تعالى في المائدة ﴿قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني اعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ وقال تعالى عن ثمود حين سألوا آية ناقة تخرج من صخرة عينوها ، فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوا ، فلما ظلموا بها أي كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروها ؛ فقال ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب﴾ . ولهذا قال تعالى : ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾ أي دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذي أجيب دعاؤه فيها ﴿فظلموا بها﴾ اي كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوها ، فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

وقوله تعالى : ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ قال قتادة : إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال : يا أيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه ، وهكذا روي ان المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات ، فقال عمر : أحدثتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن . وكذا قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله و إنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكره ودعائه واستغفاره ـ ثم قال ـ يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن يزني عبده او تزني أمته ، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً» .

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضاً له على إبلاغ رسالته ومخبراً له بأنه قد عصمه من الناس ، فانه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته . قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم في قوله ﴿واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي عصمك منهم . وقوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ الآية ؛ قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به ، ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ شجرة الزقوم ؛ وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به . وكذا رواه العوفي عن ابن عباس .

وهكذا فسر ذلك بليلة الاسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ، وغير واحد ، وقد تقدمت أحاديث الإسراء في أول السورة مستقاة ولله الحمد والمنة . وتقدم ان ناساً رجعوا عن دينهم بعد ما كانوا على الحق ، لأنه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك ، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وجعل الله ذلك ثباتاً ويقيناً لآخرين ، ولهذا قال ﴿إلا فتنة﴾ اي اختباراً وامتحاناً ، وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم ، كما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ، ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله : هاتوا لنا تمراً وزبداً ، وجعل يأكل من هذا بهذا ، ويقول : تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا ، حكى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن البصري وغير واحد ، وكل من قال إنها ليلة الإسراء ، فسره كذلك بشجرة الزقوم . وقيل : المراد بالشجرة الملعونة بنو أمية ، وهو غريب ضعيف .

وقال ابن جرير : حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة ، حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، حدثني أبي عن جدي قال : رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القرود ، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات ، قال : وأنزل الله في ذلك ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ الآية ؛ وهذا السند ضعيف جداً ، فإن

محمد بن الحسن بن «زبالة متروك ، وشيخه أيضاً ضعيف بالكلية ؛ ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء ، وأن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، قال الإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة ، وقوله ﴿ ونخوفهم ﴾ أي الكفار بالوعيد والعذاب والنكال ، ﴿ فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ أي تمادياً فيما هم فيه من الكفر والضلال ، وذلك من خذلان الله لهم .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس لعنه الله لآدم وذريته وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له إفتخاراً عليه واحتقاراً له ﴿ قال أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وقال أيضاً أرأيتك يقول للرب جزاءه وكفراً والرب يحلم وينظر ﴿ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي ﴾ الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول لأستولين على ذريته إلا قليلاً وقال مجاهد لأحتوين وقال ابن زيد لأضلنهم وكلها متقاربة والمعنى أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته عليّ لئن أنظرتني لأضلنّ ذرّيته إلا قليلاً منهم .

قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

لما سأل إبليس النظرة قال الله له ﴿ اذهب ﴾ فقد انظرتك كما قال في الآية الأخرى قال ﴿ فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ﴾ أي على أعمالكم ﴿ جزاء موفوراً ﴾ قال مجاهد وافراً ، وقال قتادة موفوراً عليكم لا ينقص لكم منه . وقوله تعالى ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ قيل هو الغناء قال مجاهد باللهو والغناء أي استخفهم بذلك وقال ابن عباس في قوله ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال كل داع دعا إلى معصية الله عز وجل وقال قتادة واختاره ابن جرير ، وقوله تعالى ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ يقول واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجلتهم فان الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدري كقوله تعالى ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً وتسوقهم إليها سوقاً وقال ابن عباس ومجاهد في قوله ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ قال كل راكب وماش في معصية الله وقال قتادة : إن له خيلاً ورجالاً من الجن والإنس وهم الذين يطيعونه تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهى في المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهي ارتفاع الأصوات ؛ وقوله تعالى ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : هو ما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله تعالى ، وقال عطاء : هو الربا ، وقال الحسن : هو جمعها من خبيث وإنفاقها في حرام ، وكذا قال قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أما مشاركته إياهم في أموالهم فهو ما حرموه من أنعامهم يعني من البحائر والسوائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقتادة ، وقال ابن جرير والأولى أن يقال إن الآية تعم ذلك كله ، وقوله ﴿ والأولاد ﴾ قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني أولاد الزنا ، وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفهاً بغير علم ، وقال قتادة عن الحسن البصري : قد والله شاركهم في الأموال والأولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءاً للشيطان ، وكذا قال قتادة سواء ، وقال أبو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان . قال ابن جرير وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده

أو غير ذلك من الأمور التي يعصي الله بفعله أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخصص بقوله ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة ، وهذا الذي قاله متجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال «يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم» وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً» وقوله تعالى ﴿ وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إذا حصحص الحق يوم يقضي الحق ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ أي حافظاً ومؤيداً ونصيرا ، وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن المؤمن لينض شياطينه كما ينض أحدكم بعيره في السفر» ينض أي يأخذ بناصيته ويقهره .

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

ويخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم الى إقليم ولهذا قال ﴿ إنه كان بكم رحيماً ﴾ أي إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم .

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾

يخبر تبارك وتعالى أن الناس إذا مسهم ضر دعوه منيبين اليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ أي ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة ابن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هارباً فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعو الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله إن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره اللهم لك عليّ عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفاً رحيماً ؛ فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه ورضي الله عنه وأرضاه . وقوله تعالى ﴿ فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ﴾ أي نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له ﴿ وكان الإنسان كفورا ﴾ أي سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها إلا من عصم الله .

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾

يقول تعالى أفحسبتم بخروجكم إلى البر أمنتم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً من المطر الذي فيه حجارة قال مجاهد وغير واحد قال تعالى ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا ﴾ وقد قال في الآية الاخرى ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من طين ﴾ وقال ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾ وقوله ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴾ أي ناصراً يرد ذلك عنكم وينقذكم منه .

أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

يقول تبارك وتعالى ﴿ أم أمنتم ﴾ أيها المعرضون عنا بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلى البر ﴿ أن يعيدكم ﴾ في البحر مرة ثانية ﴿ فيرسل عليكم قاصفاً من الريح ﴾ أي يقصف الصواري ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره :

القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها وقوله ﴿ فيغرقكم بما كفرتم ﴾ أي بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى وقوله ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ قال ابن عباس نصيراً وقال مجاهد نصيراً ثائراً أي يأخذ بثأركم بعدكم . وقال قتادة ولا نخاف أحداً يتبعنا بشيء من ذلك .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ أن يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه ، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية ﴿ وحملناهم في البر ﴾ أي على الدواب من الأنعام والخيل والبغال وفي البحر أيضاً على السفن الكبار والصغار ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ أي من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة . قال عبد الرزاق ، أخبرنا معمر بن زيد بن أسلم قال : قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا الآخرة فقال الله تعالى «وعزتي وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت كن فكان» وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد رُوي من وجه آخر متصلا . وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خارجة المصيصي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال «إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان» وقد روى ابن عساكر من طريق محمد بن أيوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق سمعت عروة بن رويم اللخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال «إن الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم وجعلتهم يأكلون ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب ينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شيئاً فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل «لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان» وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شغاف عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ «ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم» قيل يا رسول الله ولا للملائكة قال «ولا الملائكة ، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر» وهذا حديث غريب جداً .

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم ، وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة أي بنبيِّهم وهذا كقوله تعالى ﴿ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط ﴾ الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ وقال ابن زيد بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير ، رُوي عن ابن ابي نجيح عن مجاهد أنه قال : بكتبهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ أي بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾ الآية ويحتمل أن المراد بإمامهم أي كل قوم بمن يأتمون به فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ وفي الصحيحين «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الطواغيت

الطواغيت» الحديث وقال تعالى ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته فإنه لا بد أن يكون شاهداً على أمته بأعمالها كقوله تعالى ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ وقوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى ﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ﴾ أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه ويحب قراءته كقوله ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ـ إلى قوله ـ وأما من أوتي كتابه بشماله ﴾ الآيات ، وقوله تعالى ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل في شق النواة . وقد روى الحافظ ابو بكر البزار حديثاً في هذا فقال : حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالا : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ قال «يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا ، وبارك لنا في هذا فيأتيهم فيقول لهم أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا ، وأما الكافر فيسودّ وجهه ويمدّ له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم لا تأتنا به فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا» ثم قال البزار لا يُروى إلا من هذا الوجه ، وقوله تعالى ﴿ ومن كان في هذه أعمى ﴾ الآية ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد ﴿ ومن كان في هذه ﴾ أي في الحياة الدنيا ﴿ أعمى ﴾ أي عن حجة الله وآياته وبيناته ﴿ فهو في الآخرة أعمى ﴾ أي كذلك يكون ﴿ واضل سبيلا ﴾ أي وأضل منه كما كان في الدنيا عياذاً بالله من ذلك .

وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه ، وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره ، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها ، ﷺ تسليماً كثيراً الى يوم الدين .

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

قيل : نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة . وهذا القول ضعيف ، لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل : إنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر . روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوماً فقالوا : يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام ، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء ، فصدق من قالوا فغزا غزوة تبوك لايريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ـ إلى قوله ـ تحويلا﴾ فأمره الله بالرجوع الى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ومنها تبعث . وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ، فان النبي لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ ولقوله تعالى : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه ، والله أعلم ، ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم عن عقير بن معدان ، عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة : مكة ، والمدينة ،

والشام» قال الوليد : يعني بيت المقدس ، وتفسير الشام بتبوك أحسن ، مما قال الوليد إنه بيت المقدس ، والله أعلم . وقيل نزلت في كفار قريش ، هموا بإخراج رسول الله ﷺ من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع فانه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف ، حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿سنة من قد أرسلنا﴾ الآية ؛ أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتيهم العذاب ، ولولا أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به ، ولهذا قال تعالى : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾الآية .

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

يقول تبارك وتعالى لرسوله ﷺ آمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ قيل لغروبها ، قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد . وقال هشيم عن مغيرة ، عن الشعبي عن ابن عباس : دلوكها زوالها ؛ ورواه نافع عن ابن عمر ، ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر ، وقاله ابو برزة الأسلمي وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود ومجاهد ؛ وبه قال الحسن والضحاك وابو جعفر الباقر وقتادة ، واختاره ابن جرير ، ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير : حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال : دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي ﷺ فقال «اخرج يا أبا بكر ، فهذا حين دلكت الشمس» ثم رواه عن سهل بن بكار عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله ﷺ نحوه : فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله ﴿لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ وهو ظلامه ، وقيل غروب الشمس ، أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وقوله ﴿وقرآن الفجر﴾ يعني صلاة الفجر ، وقد بينت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفاً من سلف وقرناً بعد قرن ، كما هو مقرر في مواضعه ، ولله الحمد . ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ قال الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود ، وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ في هذه الآية ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ قال : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة ، وسعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط ، حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ ، وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في قوله ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ قال «تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار» . ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، ثلاثتهم عن عبيد بن أسباط بن محمد عن أبيه به ؛ وقال الترمذي : حسن صحيح وفي لفظ في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون» وقال عبد الله ابن مسعود يجتمع الحرسان في صلاة الفجر ، فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء ؛ وكذا قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الآية .

وأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة ابن عبيد ، عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ فذكر حديث النزول ، وأنه تعالى يقول : من يستغفرني أغفر له ، من يسألني أعطيه ، من يدعني فأستجيب له حتى يطلع الفجر ؛ فلذلك يقول ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار ، فإنه تفرد به زيادة ، وله بهذا حديث في سنن أبي داود .

وقوله تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة ، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال «صلاة الليل» ، ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل ، فان التهجد ما كان بعد نوم . قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد ، وهو المعروف في لغة العرب ، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه كان يتهجد بعد نومه ، عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم ، كما هو مبسوط في موضعه ، ولله الحمد والمنة .

وقال الحسن البصري : هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم ، واختلف في معنى قوله تعالى : ﴿نافلة لك﴾ فقيل معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك ، فجعلوا قيام الليل واجباً في حقه دون الأمة ؛ رواه العوفي عن ابن عباس ، وهو أحد قولي العلماء ، وأحد قولي الشافعي رحمه الله ، واختاره ابن جرير ، وقيل : إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص ، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه . قاله مجاهد : وهو في المسند عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

وقوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ أي افعل هذا الذي أمرتك به لتقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً ، يحمدك في الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

[ذكر من قال ذلك]

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة قال : يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا ، قياماً لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ينادي : يا محمد ، فيقول «لبيك وسعديك ، والخير في يديك والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، ومنك وإليك لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت» فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل . ثم رواه عن بندار ، عن غندر ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري ، عن ابي إسحاق به . وقال ابن عباس : هذا المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقاله الحسن البصري .

وقال قتادة : هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد ، فهو أول من تنشق عنه الأرض ويبعث راكباً إلى المحشر ، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر وارداً منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق ، وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ، فكل يقول : لست لها ، حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول «أنا لها أنا لها» كما سنذكر ذلك مفصلاً في هذا الموضع إن شاء الله تعالى . ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها ، وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته ، وأولهم إجازة على الصراط بأمته ، وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم .

وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته ، وهو أول داخل اليها ، وأمته قبل الأمم كلهم ، ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لا تليق إلا له ، وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة ، شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ، ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص ، ولله الحمد والمنة ؛ ولنذكر الآن الأحاديث الواردة في المقام المحمود وبالله المستعان . قال البخاري : حدثنا اسماعيل بن أبان ، حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي ، سمعت ابن عمر يقول : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً . ورواه حمزة بن عبد الله عن أبيه ، عن النبي ﷺ .

قال ابن جرير : حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا شعيب بن الليث ، ثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر ، أنه قال : سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ «إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى

فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً . وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقمة عن عبد الله بن صالح ، كلاهما عن الليث بن سعد به . وزاد . فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ، يحمده أهل الجمع كلهم . قال البخاري : وحدثنا علي بن عياش ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة» انفرد به دون مسلم .

[حديث أبي بن كعب]

ـ قال الإمام أحمد : حدثنا ابو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال «إذا كان يوم القيامة ، كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر» ؛ وأخرجه الترمذي من حديث أبي عامر عبد الملك بن عمرو العقدي ؛ وقال : حسن صحيح ، وابن ماجة من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به ، وقد قدمنا في حديث أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف ، قال ﷺ في آخره «فقلت اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام» .

[حديث أنس بن مالك]

ـ قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا سعيد بن ابي عروبة ، حدثنا قتادة عن أنس ، عن النبي قال «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك ، فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت ابو البشر خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ؛ فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم آدم : لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحيي ربه عز وجل من ذلك ، ويقول : ولكن إئتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم ، فيستحيي ربه من ذلك ويقول : ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن ؛ فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة ؛ فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس ، فيستحيي ربه من ذلك ، ويقول : ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ؛ فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني ـ قال الحسن هذا الحرف ـ فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين ـ قال أنس ـ حتى أستأذن على ربي ، فإذا رأيت ربي وقعت له ـ أو خررت ـ ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ـ قال ـ ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ؛ ثم أعود إليه ثانية فإذا رأيت ربي وقعت له أو خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ؛ قال : ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت ـ أو خررت ـ ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة فأقول : يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن» ؛ فحدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال «فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة» ؛ أخرجاه من حديث سعيد به ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بطوله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري عن النضر بن أنس ، عن أنس قال : حدثني نبي الله ﷺ قال «إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط ، إذ جاءني عيسى عليه السلام فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون ـ أو قال : يجتمعون إليك ـ ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم ما هم فيه ، فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة ، وأما الكافر فيغشاه الموت ، فقال : انتظر حتى أرجع إليك ، فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل ، فأوحى الله عز وجل إلى جبريل أن اذهب إلى محمد ، وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع ، فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً ، فما زلت أتردد إلى ربي عز وجل ، فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله عز وجل ، من ذلك أن قال : يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك» .

[حديث بريدة رضى الله عنه]

ـ قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا الأسود بن عامر ، أخبرنا أبو اسرائيل عن الحارث بن حضيرة ، عن ابن بريدة ، عن أبيه أنه دخل على معاوية ، فإذا رجل يتكلم ، فقال بريدة : يا معاوية تأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم ، وهو يرى أنه سيتكلم بمثل ما قال الآخر ؛ فقال بريدة : سمعت رسول الله ﷺ يقول «إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة» ، قال : فترجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها علي رضي الله عنه» .

[حديث ابن مسعود] ـ قال الإمام أحمد : حدثنا عارم بن الفضل ، حدثنا سعيد بن الفضل ، حدثنا سعيد بن زيد ، حدثنا علي بن الحكم البناني عن عثمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : جاء ابنا مليكة إلى النبي ﷺ فقالا : إن أمنا تكرم الزوج وتعطف على الولد ، قال : وذكرا الضيف غير أنها كانت وأدت في الجاهلية ، فقال «أمكما في النار» قال : فأدبرا والسوء يرى في وجوههما ، فأمر بهما فردا فرجعا والسرور يرى في وجوههما رجاء أن يكون قد حدث شيء ، فقال «أمي مع أمكما» فقال رجل من المنافقين : وما يغني هذا عن أمه شيئاً ونحن نطأ عقبيه . فقال رجل من الأنصار : ولم أر رجلاً قط أكثر سؤالاً منه يا رسول الله ، هل وعدك ربك فيها أو فيهما ؟ قال : فظن أنه من شيء قد سمعه ، فقال «ما شاء الله ربي وما أطعمني فيه ، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة» فقال الأنصاري : يا رسول الله وما ذاك المقام المحمود ؟ قال : ذاك اذا جيء بكم حفاة عراة غرلاً ، فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام ، فيقول : اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ، ثم يقعده مستقبل العرش ، ثم أوتى بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمينه مقاماً لا يقومه أحد ، فيغبطني فيه الأولون والآخرون» قال : ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض ، فقال المنافق : إنه ما جرى ماء قط إلا على حال أو رضراض ؛ فقال رسول الله ﷺ «حاله المسك ، ورضراضه اللؤلؤ» فقال المنافق : لم أسمع كاليوم ، فانه قلما جرى ماء على حال أو رضراض إلا كان له نبت ؟ فقال الأنصاري ؛ يا رسول الله هل له نبت ؟ فقال : «نعم قضبان الذهب» قال المنافق لم أسمع كاليوم ، فإنه قلما ينبت قضيب إلا أورق والا كان له ثمر ، قال الانصاري : يا رسول الله هل له ثمرة ؟ قال «نعم ألوان الجوهر ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعده ، ومن حرمه لم يرو بعده» . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه عن أبي الزعراء ، عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ، ثم يقوم إبراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى او موسى ، قال أبو الزعراء : لا أدري أيهما ، قال : ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعاً فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفع ، وهو المقام المحمود الذي قال الله عز وجل ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ .

[حديث كعب بن مالك رضي الله عنه]

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال «يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ، ويكسوني ربي عز وجل حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود» .

[حديث أبي الدرداء رضي الله عنه]

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه ، فأنظر إلى ما بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ، ومن خلفي مثل ذلك ، وعن يميني مثل ذلك ، وعن شمالي مثل ذلك» فقال رجل : يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح الى أمتك ؟ قال «هم غر محجلون من أثر الوضوء ، ليس أحد كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم» .

[حديث أبي هريرة رضي الله عنه]

قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا أبو حيان ، حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتي رسول الله ﷺ بلحم ، فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ، ثم قال «أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ من الغم والكرب ما لا يطيقون ، ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه مما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا إلى

ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا الى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله قط ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم ؛ فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، فذكر كذباته نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا إلى موسى ؛ فيأتون موسى عليه السلام فيقولون : يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ؛ إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى عيسى ؛ فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبياً ، فاشفع لنا الى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى محمد ﷺ ؛ فيأتون محمداً ﷺ فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا الى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي ؛ فيقال : يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه ، واشفع تشفع ؛ فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، أمتي يا رب ؛ فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ؛ ثم قال : والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر ، او كما بين مكة وبصرى ، أخرجاه في الصحيحين .

وقال مسلم رحمه الله : حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا عقل بن زياد عن الأوزاعي ، حدثني ابو عمار ، حدثني عبد الله بن فروخ ، حدثني ابو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأول شافع وأول مشفع» . وقال ابن جرير : حدثنا ابو كريب ، حدثنا وكيع عن داود بن يزيد الزعافري عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال «هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه» .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري ، عن علي بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ـ قال النبي ﷺ ـ فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها ، فأقول : أي رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي ، فيقول الله عز وجل ؛ صدق ، ثم أشفع فأقول : يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض ، قال : فهو المقام المحمود» وهذا حديث مرسل .

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله ﷺ ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه ، فأراد الله قتال أهل مكة ، أمره أن يخرج إلى المدينة ، فهو الذي قال الله عز وجل ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ الآية .

وقال قتادة ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ يعني المدينة ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ يعني مكة ؛ وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهذا القول هو أشهر الأقوال . وقال العوفي عن ابن عباس ﴿أدخلني مدخل صدق﴾ يعني الموت

﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ يعني الحياة بعد الموت ، وقيل غير ذلك من الأقوال ، والأول أصح ، وهو اختيار ابن جرير .

وقوله ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ قال الحسن البصري في تفسيرها : وعده ربه لينزعن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له ، وملك الروم وعز الروم وليجعلنه له . وقال قتادة فيها : إن نبي الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله ، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم ؛ قال مجاهد ﴿سلطاناً نصيراً﴾ حجة بينة ، واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة ، وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناواه ، ولهذا يقول تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ـ إلى قوله ـ وأنزلنا الحديد﴾ الآية . وفي الحديث «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع .

وقوله ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ الآية ، تهديد ووعيد لكفار قريش ، فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به ، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع ، وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ . وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول «جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً . جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد» وكذا رواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع ، ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينه به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح به .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير ، حدثنا شبابة ، حدثنا المغيرة ، حدثنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً تعبد من دون الله . فأمر بها رسول الله ﷺ فأكبت على وجوهها ، وقال «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» .

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب ما في القلب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل ؛ فالقرآن يشفي من ذلك كله ، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه ، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك ، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعداً وكفراً ، والآفة من الكافر لا من القرآن ، كقوله تعالى : ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ ، وقال تعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ والآيات في ذلك كثيرة . قال قتادة في قوله ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ، فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

يخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء ، فإنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ، ونال ما يريد ، أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه . قال مجاهد : بعد عنا ، قلت : وهذا كقوله تعالى ﴿فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ وقوله ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب ، والحوادث والنوائب ﴿كان يؤساً﴾ أي قنط أن يعود فيحصل له بعد ذلك خير ، كقوله تعالى :

﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال ابن عباس : على ناحيته . وقال مجاهد : على حدته وطبيعته . وقال قتادة : على نيته . وقال ابن زيد : دينه ، وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى وهذه الآية ـ والله أعلم ـ تهديد للمشركين ووعيد لهم ، كقوله تعالى : ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ الآية ؛ ولهذا قال ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي منا ومنكم ، ويجزي كل عامل بعمله فإنه لا تخفى عليه خافية .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة ، عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث في المدينة ، وهو متوكىء على عسيب ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ؛ وقال بعضهم : لا تسألوه . قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد ما الروح ؟ فما زال متوكئاً على العسيب ، قال : فظننت أنه يوحى إليه ؛ فقال ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم لا تسألوه . وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به .

ولفظ البخاري عند تفسيره هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متوكىء على عسيب ، إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ؛ فقال : ما رابكم إليه ، وقال بعضهم : لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه . فقالوا سلوه ؛ فسألوه عن الروح ؛ فأمسك النبي ﷺ ، فلم يرد عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامي ، فلما نزل الوحي قال ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية ؛ وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية ، وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة ، مع أن السورة كلها مكية . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية ، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه ، وهي هذه الآية ﴿ويسألونك عن الروح﴾ ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قالت قريش ليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ؛ فقالوا : سلوه عن الروح ؛ فسألوه ؛ فنزلت ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالوا : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، قال : وأنزل الله ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر﴾ الآية .

وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى ، عن داود عن عكرمة قال : سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح ، فأنزل الله ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية ؛ فقالوا : تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً ، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ قال : فنزلت ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ الآية ؛ قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار ، فهو كثير طيب ، وهو في علم الله قليل .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا : يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ أفعنيتنا أم عنيت قومك ؛ فقال «كلاً قد عنيت» فقالوا : إنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ؛ فقال رسول الله ﷺ «هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم» وأنزل الله ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ .

وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال [أحدها] أن المراد أرواح بني آدم . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية ، وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يجر إليهم شيئاً ، فأتاه جبريل فقال له ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فأخبرهم النبي ﷺ بذلك ، فقالوا : من جاءك بهذا ؟ قال : جاءني به جبريل من عند

الله ؛ فقالوا له : والله ما قاله لك إلا عدونا ؛ فأنزل الله ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزلهُ على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه﴾ وقيل : المراد بالروح ههنا جبريل ، وقال قتادة : وكان ابن عباس يكتمه ؛ وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر المخلوقات كلها .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿ويسألونك عن الروح﴾ يقول : الروح ملك . وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري ، حدثنا وهب بن روق بن هبيرة ، حدثنا بشر بن بكر ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن لله ملكاً لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانك حيث كنت» وهذا حديث غريب بل منكر . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله . حدثني علي ، حدثني عبد الله ، حدثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في قوله ﴿ويسألونك عن الروح﴾ قال : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها سبعون ألف لغة ، يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة ؛ وهذا أثر غريب عجيب ؛ والله أعلم .

وقال السهيلي : روي عن علي أنه قال : هو ملك له مائة ألف رأس ، لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يسبح الله تعالى بلغات مختلفة . قال السهيلي : وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم ، وقيل : طائفة يرون الملائكة ولا تراهم ، فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم . وقوله ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم ، ولهذا قال ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل ، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى ان علمكم في علم الله قليل ، وهذا الذي تسألون عنه أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه ، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى ، وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر ان الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر في البحر نقرة ، أي شرب منه بمنقاره ، فقال : يا موسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر ، أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وقال السهيلي : قال بعض الناس لم يجبهم عما سألوا ، لأنهم سألوا على وجه التعنت ، وقيل : أجابهم . وعول السهيلي على ان المراد بقوله ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي من شرعه ، أي فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك ، لأن لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة ، وإنما ينال من جهة الشرع ، وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر ، والله أعلم .

ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها ، وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء ، سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر ، وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم ، فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء ، كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسماً خاصاً ، فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطاراً أو خمراً ، ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو ، وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه ، فحاصل ما نقول : إن الروح هي أصل النفس ومادتها ، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن ، فهي هي من وجه لا من كل وجه ، وهذا معنى حسن ، والله أعلم . قلت : وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها ، وصنفوا في ذلك كتباً ، ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ بن منده في كتاب سمعناه في الروح .

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . قال ابن مسعود رضي الله عنه : يطرق الناس ريح حمراء ، يعني في آخر الزمان من قبل الشام ، فلا يبقى في مصحف رجل ولا في قلبه آية ، ثم قرأ ابن مسعود ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي

أوحينا إليك﴾ الآية ؛ ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الانس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطاع ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له ، وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له : إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به ، فأنزل الله هذه الآية ، وفي هذا نظر ، لأن هذه السورة مكية وسياقها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة ، فالله أعلم . وقوله ﴿ولقد صرفنا للناس﴾ الآية ، أي بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ، ومع هذا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً أي جحوداً للحق ورداً للصواب .

وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة ، عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار ، وأبا البختري أخا بني أسد ، والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية ، وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيهاً ومنبهاً ابني الحجاج السهميين ؛ اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ؛ فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ؛ فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم ؛ فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، فما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً ؛ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي ـ فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؛ فقال رسول الله ﷺ «ما بي ما تقولون ، ماجئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» أو كما قال رسول الله ﷺ تسلياً ، فقالوا : يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلاداً ولا أقل مالاً ، ولا أشد عيشاً منا ، فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألناك وصدقناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ «ما بهذا بعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال لهم رسول الله ﷺ «ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال لهم رسول الله ﷺ «ذلك إلى الله ، إن شاء فعل بكم ذلك» فقالوا : يا محمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا

إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً ؛ فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب ؛ فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ ؛ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسفاً لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه ؛ وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي عن ابن اسحاق : حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء . وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له ، لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيبوا إليه ، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفراً وعناداً ، فقيل لرسول الله ﷺ : إن شئت أعطيناهم ما سألوا ، فإن كفروا عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ؟ فقال : «بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة ، كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزبير بن العوام ايضاً عند قوله تعالى : ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون * وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ . وقال تعالى ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً * أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً * تبارك الذي إن شاء جعل لك خير من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ .

وقوله تعالى ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الينبوع : العين الجارية ، سألوه أن يجري لهم عيناً معيناً في أرض الحجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ماسألوا وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ وقال تعالى ﴿ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ماكانوا ليؤمنوا﴾ الاية .

وقوله تعالى : ﴿أو تسقط السماء كما زعمت﴾ أي أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتهي وتدلي أطرافها ، فاجعل ذلك في الدنيا واسقطها كسفاً ، أي قطعاً كقوله ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية ؛ وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا ﴿أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾ فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم ، وأما نبي الرحمة ونبي التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل انظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً ، وكذلك وقع فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية الذي تبع النبي ﷺ وقال له ما قال ، أسلم إسلاماً تاماً وأناب إلى الله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو الذهب ؛ وكذلك هو في قراءة ابن مسعود : أو يكون لك بيت من ذهب ﴿أو ترقى في السماء﴾ أي تصعد في سلم ونحن ننظر إليك ﴿ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ قال مجاهد : أي مكتوب فيه إلى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه . وقوله تعالى : ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ أي سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته ، بل هو الفعال لما يشاء إن شاء أجابكم إلى ما سألتم ، وإن شاء لم يجبكم ، وما أنا إلا رسول اليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وقد فعلت ذلك ، وأمركم فيما سألتم إلى الله عز وجل .

قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا علي بن اسحاق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد ، عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال «عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» ورواه الترمذي في الزهد عن يزيد بن نصر عن ابن المبارك به ؛ وقال : هذا حديث حسن ، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث .

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ

يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

يقول تعالى : ﴿ وما منع الناس ﴾ أي أكثرهم ﴿ أن يؤمنوا ﴾ ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم من بعثة البشر رسلاً ، كما قال تعالى : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ﴾ الآية . وقال فرعون وملؤه ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟ ﴾ وكذلك قالت الأمم لرسلهم ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ والآيات في هذا كثيرة ؛ ثم قال تعالى منبهاً على لطفه ورحمته بعباده أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ، ولو بعث الى البشر رسولاً من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه ، كما قال تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ وقال تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ ولهذا قال ههنا ﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ﴾ أي كما أنتم فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ أي من جنسهم . ولما كنتم أنتم بشراً بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفاً ورحمة .

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

يقول تعالى مرشداً نبيه ﷺ إلى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به : إنه شاهد علي وعليكم ، عالم بما جئتكم به ، فلو كنت كاذباً عليه لانتقم مني أشد الانتقام ، كما قال تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ . وقوله ﴿ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ أي عليماً بهم بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية ممن يستحق الشقاء والإضلال والازاغة ؛ ولهذا قال :

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

يقول تعالى مخبراً عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم ، كما قال ﴿ من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ وقوله ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ قال الإمام أحمد ؛ حدثنا ابن نمير ، حدثنا إسماعيل عن نفيع قال : سمعت أنس ابن مالك يقول : قيل : يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال « الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» ، وأخرجاه في الصحيحين .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن أبيه ، عن أبي الطفيل عامر بن وائلة ، عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال : يابني غفار ، قولوا ولا تحلفوا ، فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج : فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار ؛ فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما ، فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال « يلقي الله عز وجل الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر ، حتى إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها » . وقوله ﴿ عميا ﴾ أي لا يبصرون ، ﴿ وبكما ﴾ يعني لا ينطقون ، ﴿ وصما ﴾ لا يسمعون ؛ وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكماً وعمياً وصماً عن الحق ، فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه ﴿ مأواهم ﴾ أي منقلبهم ومصيرهم ﴿ جهنم كلما خبت ﴾ قال ابن عباس : سكنت ، وقال مجاهد : طفئت ، ﴿ زدناهم سعيراً ﴾ أي لهباً ووهجاً وجمراً ، كما قال ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ .

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَـٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

يقول تعالى : هذا الذي جازيناهم به من البعث على العمي والبكم والصمم جزاؤهم الذي يستحقونه ، لأنهم كذبوا ﴿ بآياتنا ﴾ أي بأدلتنا وحجتنا ، واستبعدوا وقوع البعث ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتا ﴾ أي بالية نخرة ﴿ أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أي بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية ؟ فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات والأرض ، فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك ، كما قال ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ وقال : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحي الموتى ﴾ الآية ؛ وقال ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ إلى آخر السورة . وقال ههنا ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم . وقوله ﴿ وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ﴾ أي جعل لاعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلاً مضروباً ومدة مقدرة لا بد من انقضائها ، كما قال تعالى : ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ . وقوله ﴿ فأبى الظالمون ﴾ أي بعد قيام الحجة عليهم ﴿ إلا كفوراً ﴾ إلا تمادياً في باطلهم وضلالهم .

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه : قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق ، قال ابن عباس وقتادة : أي الفقر ، خشية أن تذهبوها مع أنها لا تنفرغ ولا تنفذ أبداً ، لأن هذا من طباعكم وسجاياكم ، ولهذا قال ﴿ وكان الانسان قتوراً ﴾ قال ابن عباس وقتادة : أي بخيلاً منوعاً ، وقال الله تعالى : ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ أي لو أن لهم نصيباً في ملك الله لما أعطوا أحداً شيئاً ولا مقدار نقير ، والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه ، فإن البخل والجزع والهلع صفة له ، كما قال تعالى : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين ﴾ ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز ، ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه ، وقد جاء في الصحيحين « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يمينه » .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون ، وهي العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، قاله ابن عباس . وقال محمد بن كعب : هي اليد والعصا ، والخمس في الأعراف والسنين والبحر ، وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة : هي يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي ؛ وجعل الحسن البصري السنين ونقص الثمرات واحدة ، وعنده أن التاسعة هي تلقف العصا ما يأفكون ﴿ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ أي ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها ، كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها

أنفسهم ظلماً وعلواً ، وما نجعت فيهم : فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا منك ما سألوا ، وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى آخرها ، لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله ، كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات ﴿وإني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ قيل : بمعنى ساحر ، والله تعالى أعلم . فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المراد ههنا ، وهي المعنية في قوله تعالى : ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف ـ إلى قوله في تسع آيات ـ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ فذكر هاتين الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات في سورة الأعراف وفصلها . وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة ، منها ضربه الحجر بالعصا ، وخروج الماء منه ، ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر ههنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر ، فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال : قال يهودي لصاحبه : أذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فقال : لا تقل له نبي ، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين ، فسألاه ، فقال النبي ﷺ «لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ـ او قال لا تفروا من الزحف شعبة الشاك ـ وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت» فقبلا يديه ورجليه ، وقالا : نشهد أنك نبي . قال «فما يمنعكما أن تتبعاني ؟» قالا : لأن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود . فهذا الحديث رواه هكذا الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وهو حديث مشكل ، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء ، وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون ، والله أعلم ؛ ولهذا قال موسى لفرعون ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾ أي حججاً وأدلة على صدق ما جئتك به ﴿ وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً ﴾ أي هالكاً ، قاله مجاهد وقتادة ؛ وقال ابن عباس : ملعوناً ، وقال أيضاً هو والضحاك ﴿ مثبوراً ﴾ أي مغلوباً ، والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله ، قال الشاعر عبد الله بن الزبعري :

إذا جاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت ، وروي ذلك عن علي بن أبي طالب ، ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون ، كما قال تعالى : ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ الآية ؛ فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه ، وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله ، وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث ، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه ، وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ؟ وما جاءهم هذا الوهم إلا من قبل عبد الله بن سلمة ، فإن له بعض ما ينكر ، والله أعلم . ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك ، والله أعلم .

وقوله ﴿ فأراد أن يستفزهم من الأرض ﴾ أي يخليهم منها ويزيلهم عنها ، ﴿ فأغرقناه ومن معه جميعاً وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾ وفي هذا بشارة لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة ، وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا باخراج الرسول منها ، كما قال تعالى : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ الآيتين ، ولهذا أورث الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين ، وقهر أهلها ثم أطلقهم حلماً وكرماً ، كما أورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها ، وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم ، كما قال كذلك وأورثناها بني إسرائيل ، وقال ههنا ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ أي جميعكم أنتم وعدوكم ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : لفيفاً أي جميعاً .

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد انه بالحق نزل ، أي متضمناً للحق ، كما قال تعالى : ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون** ﴾ أي متضمناً علم الله الذي اراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه . وقوله ﴿ **وبالحق نزل** ﴾ أي ونزل **إليك** يا محمد محفوظاً محروساً لم يشبه بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه ، بل وصل **إليك** بالحق ، فإنه نزل به شديد القوى الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلى . وقوله ﴿ **وما أرسلناك** ﴾ أي يا محمد ﴿ **إلا مبشراً ونذيراً** ﴾ مبشراً لمن أطاعك من المؤمنين ونذيراً لمن عصاك من الكافرين .

وقوله ﴿ **وقرآناً فرقناه** ﴾ أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفرقاً منجماً على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضاً أنه قرأ : فرقناه بالتشديد ، أي أنزلناه آية آية مبيناً مفسراً ، ولهذا قال ﴿ **لتقرأه على الناس** ﴾ أي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ، أي ﴿ **على مكث** ﴾ أي مهل ﴿ **ونزلناه تنزيلاً** ﴾ أي شيئاً بعد شيء.

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم ﴿ **آمنوا به أو لا تؤمنوا** ﴾ أي سواء آمنتم به أم لا ، فهو حق في نفسه أنزله الله ونوه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة على رسله ، ولهذا قال ﴿ **ان الذين أوتوا العلم من قبله** ﴾ أي من صالحي أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ويقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه ﴿ **إذا يتلى عليهم** ﴾ هذا القرآن ﴿ **يخرون للأذقان** ﴾ جمع ذقن وهو أسفل الوجه ﴿ **سجداً** ﴾ أي لله عز وجل شكراً على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلاً ان أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون ﴿ **سبحان ربنا** ﴾ أي تعظيما وتوقيراً على قدرته التامة وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ ولهذا قالوا ﴿ **سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا** ﴾ . وقوله ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون** ﴾ أي خضوعاً لله عز وجل وإيماناً وتصديقاً بكتابه ورسوله ﴿ **ويزيدهم خشوعاً** ﴾ اي إيماناً وتسليما ، كما قال ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ . وقوله ﴿ **ويخرون** ﴾ عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود ، كما قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل ، المانعين من تسميته بالرحمن ﴿ **ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ أي لا فرق بين دعائكم له باسم الله او باسم الرحمن ، فإنه ذو الأسماء الحسنى ، كما قال تعالى : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ـ إلى أن قال ـ **له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض** ﴾ الاية ، وقد روي مكحول ان رجلاً من المشركين سمع النبي ﷺ وهو يقول في سجوده « يا رحمن يا رحيم » فقال : انه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين ، فأنزل الله هذه الآية ، وكذا روي عن ابن عباس ، رواهما ابن جرير .

وقوله ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ الآية قال الامام احمد : حدثنا هشيم ، حدثنا ابو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة ، ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالى

لنبيه ﷺ ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس به ، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس ، وزاد : فلما هاجر إلى المدينة سقط ذلك يفعل أي ذلك شاء .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم ، فإذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع ، فان خفض صوته ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأنزل الله ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ فلا يسمع من أراد أن يسمع ممن يسترق ذلك منهم فلعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به ، ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ وهكذا قال عكرمة والحسن البصري وقتادة : نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة ، وقال شعبة عن أشعث بن أبي سليم عن الأسود بن هلال عن ابن مسعود ﴿ ولا تخافت بها ﴾ من أسمع أذنيه .

قال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية عن سلمى بن علقمة عن محمد بن سيرين قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته ، فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجي ربي عز وجل وقد علم حاجتي ، فقيل : أحسنت . وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، قيل : أحسنت ؛ فلما نزلت ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ قيل لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً ، وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس : نزلت في الدعاء ، وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء ، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير . وقال الثوري عن ابن عياش العامري عن عبد الله بن شداد قال : كان أعرابي من بني تميم إذا سلم النبي ﷺ قال «اللهم ارزقني إبلا وولداً» قال : فنزلت هذه الآية ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾

[قول آخر] قال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : نزلت هذه الآية في التشهد ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ، وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله .

[قول آخر] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قال : لا تصل مراءاة للناس ولا تدعها مخافة الناس . وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصري ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قال : لا تحسن علانيتها وتسيء سريرتها ؛ وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به ؛ وهشام عن عوف عنه به ، وسعيد عن قتادة عنه كذلك .

[قول آخر] قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ قال : أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف ، فيصبح به ويصيحون هم به وراءه ، فنهاه أن يصيح كما يصيح هؤلاء ، وأن يخافت كما يخافت القوم ، ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبريل من الصلاة .

وقوله ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ﴾ لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ أي ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير ، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له ، ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له . قال مجاهد في قوله ﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ لم يحالف أحداً ولم يبتغ نصر أحد ﴿ وكبره تكبيراً ﴾ أي عظمه وأجلّه عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيراً .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر عن القرظي انه كان يقول في هذه الآية ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ﴾ الآية ، قال إن اليهود والنصارى يقولوا اتخذ الله ولداً ، وقالت العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ﴾ وقال أيضاً : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يعلم أهله هذه الآية ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ﴾ الآية ،

الصغير من أهله والكبير . قلت وقد جاء في حديث أن رسول الله ﷺ سمى هذه الآية آية العز ، وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا بشر بن سيحان البصري ، حدثنا حرب بن ميمون ، حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال : خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده في يدي ، أو يدي في يده ، فأتى على رجل رث الهيئة فقال « أي فلان ما بلغ بك ما أرى ؟ » قال : السقم والضر يا رسول الله ، قال « ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟ » قال : بلى ، ما يسرني أن شهدت بها معك بدرا أو أحدا ، قال : فضحك رسول الله ﷺ وقال « وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ » قال : فقال أبو هريرة : يا رسول الله إياي فعلمني ، قال « فقل يا أبا هريرة توكلت على الحي الذي لا يموت ، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبره تكبيراً » قال : فأتى علي رسول الله وقد حسنت حالي قال : فقال لي «مهيم» قال : قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التي علمتني» ، إسناده ضعيف ، وفي متنه نكارة ، والله أعلم . آخر تفسير سورة سبحان . ولله الحمد والمنة .

[ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال]

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة ، فجعلت تنفر ، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان ، فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبه به ، وهذا الرجل الذي كان يتلوها هو أسيد بن الحضير كما تقدم في تفسير سورة البقرة . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام بن يحيى عن قتادة عن سالم ابن أبي الجعد ، عن معدان بن ابي طلحة عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذي « من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف » وقال : حسن صحيح .

[طريق اخرى] - قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة عن قتادة ؛ سمعت سالم بن ابي الجعد يحدث عن معدان عن ابي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم ايضاً والنسائي من حديث قتادة به ، وفي لفظ النسائي «من قرأ عشر آيات من الكهف» فذكره .

[حديث آخر] - وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد ، عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالماً سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء . وقال أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا ثوبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن انس الجهني ، عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها ، كانت له نوراً من قدمه الى رأسه ، ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد له غريب عن خالد بن سعيد بن ابي مريم ، عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وهذا الحديث في رفعه نظر ، وأحسن أحواله الوقف .

وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن ابي هاشم عن ابي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفاً ، وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث ابي سعيد الخدري وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن المؤمل ؛ حدثنا الفضيل بن محمد الشعراني ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا هشيم ، حدثنا أبو هاشم عن